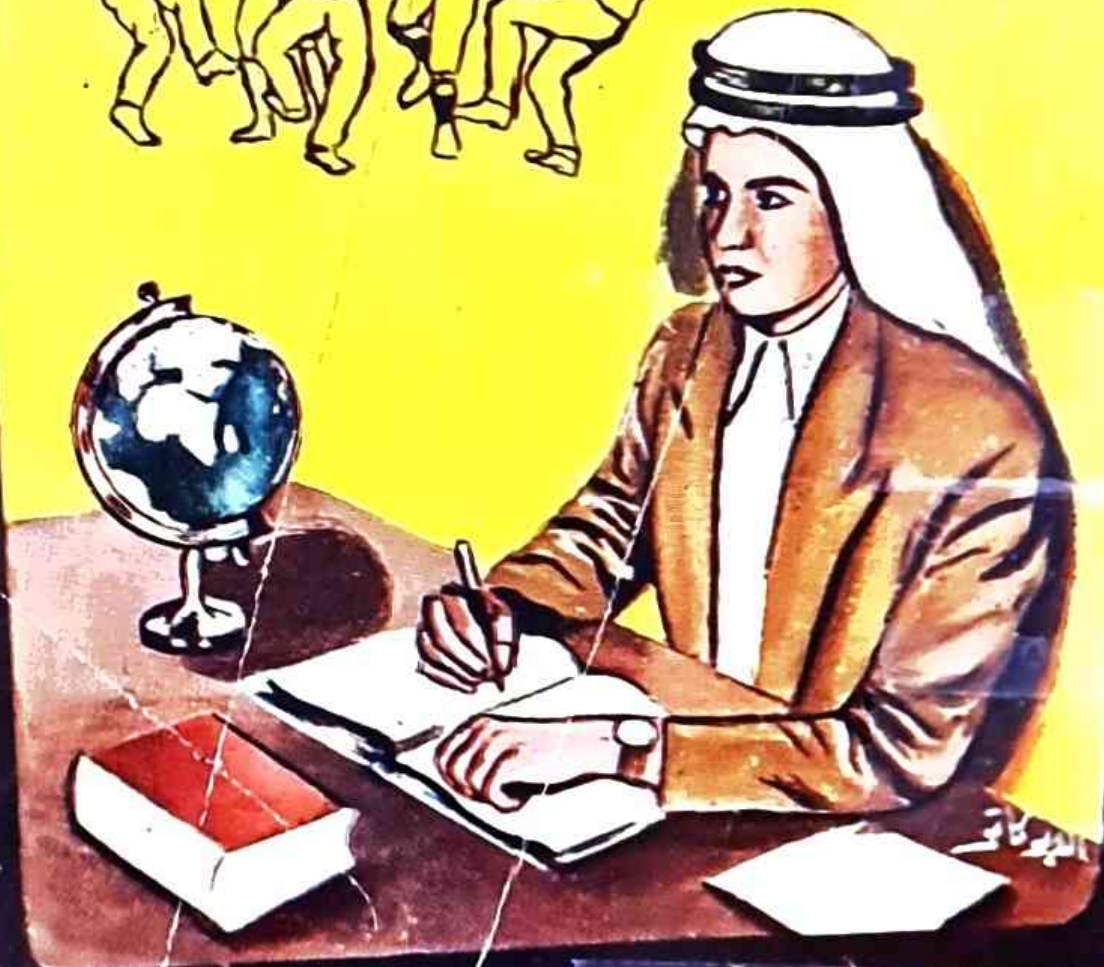


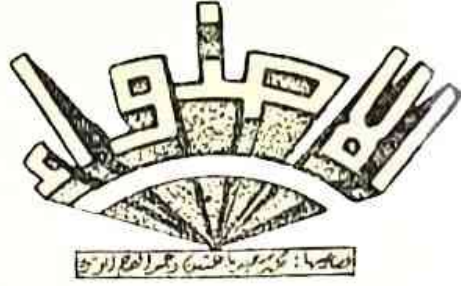
مذکرات طالب ساپی



لاکھنؤ میں ایسٹ نیشنل پبلیشرز

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 24 / ربيع الآخر / 1444 هـ
18 / 11 / 2022 م

سرمد حاتم شكر السامرائي



(٦)

مذكرات طالب بقبو

الدكتور حسن يوسف نصيف

٢٠٠٠ مذكرات طالب بقبو

سلسلة باعشن وابتى مدين الثقات

سلسلة شهرية تصدر عن جريدة الاضواء المحتجبة

كلمتي....

قارئ الحبيب

للمرة الثالثة يتخلف الزميل عبد الفتاح أبو مدين
عن تقديم هذه الكلمة ... تخلف المرة الأولى عند
تقديم كتاب الدكتور النابه محمد سعيد العوضى
« أحاديث » ، والمرة الثانية كانت بدافع الحرص
على عدم تقديم نفسه للقراء ، وعلى عدم التحدث في
باكورة إنتاجه عن مشاريع هذه السلسلة وأهدافها
وهو يمد إليك بنتاجه الأول ، فقبلت في الحال أن
أكتب عن زميلي عبد الفتاح في كتابه الأول ،
وكتبت تلك الكلمة أو المقدمة القصيرة بدافع الحب
لعبد الفتاح ، ودافع الواجب ... واجب الناشر تجاه
العمل الذي يقوم على إظهاره للقراء .

وللمرة الثالثة أيضاً تشاء الظروف من تلقاء
نفسها أن تفرض عليّ تقديم هذا الكتاب إلى
القراء ...

وهي مناسبة كريمة ، حبيبة إلى القلب ، إذ يسعد

لمزم أن يتحدث عن مشاريعه الثقافية والفكرية بأسلوب الواقع ، الذى يعيش فيه ، ويتفاعل معه ، بأسلوب الفكرة والمبدأ ، اللذان يسيران باتجاهاته ونزعاته ...

ولنقدم فكرة موجزة ...

ولدت الفكرة أول ما ولدت عام ١٣٧٦ هجرية فى إحدى أمسيات شهر ذى القعدة ، عند ما كنت والزميل عبد الفتاح أبو مدين نجهز العمل لإخراج أول صحيفة تصدر فى مدينة جدة ... «الأضواء» ... عندما أخذنا نحدد الأهداف ، والمراعى البعيدة . وعندما مهدنا الطريق الذى ينبغى علينا السير فيه . ووضعنا منهجاً لنا وهدفاً ... وكان منهجنا هو إيجاد لون جديد من الأدب الحجازى ... إظهار فئة من الوجوه الخاصة التى لم يصادفها الحظ فى الظهور ، أو من وقفت دونهم عقبات مبعثها الرجعية والجهل وحب القديم لقدمه ، لالميزة فيه تصدت لهم هذه العقبات تسد الطريق عليهم . وتغلق النوافذ أمامهم .. وكان هدفنا تصفية أدبنا من أنصاف الكتاب والشعراء ، وأصحاب الزعامات الخرافية ، والدعاوى الرخيصة ، والنداءات الفاشلة ، التى تزعم فلاناً أستاذاً للجيل ، ورائداً للشباب ، وإماماً للفن ، وقائداً للفكر الجديد . فرداً صمداً ، واحداً أحداً ، لا كاتب غيره ، ولا إمام سواه . هو خالق الفن ومبدع المعجزات ، يرسم الصور واللوحات وواضع المناهج الابتداعية وصنو فيكتور هيجو وأفلاطون وسقراط وغير ذلك من أسماء الكتاب والمفكرين اللامعين الذين أهدوا إلى العقل البشرى خير تراث على وأدبى .. كان همنا أن نحطم هؤلاء الدجالون المفرضون ... الذين يفرضون علينا نوعاً معيناً

من الاسماء الأدبية .. بحجة « الأستاذية » و « الأقدمية » .
فقد وجدت فئة ، همها الأكبر تقديس كاتب معين معروف . تشيد
بأعماله الأدبية بمناسبة وبدون مناسبة ، ودينها « التنهيق » له والدفاع
عن شخصيته الأدبية وزعاماته الفكرية .

حفظت عن ظهر قلب أسماء لامعة ناجحة في دنيا الفكر والأدب .
وأخذوا بقيسون عليها أستاذهم ومريدهم ، وبألهونه ويطلقون أمامه
البخور ... ويتلون الأوردة والالتماسات أمامه ... فئة أسلمت نفسها
للسيطان ووضعت نفسها تحت تصرفه وإمرته يصرفها كيفما شاء ...
وكيفما اتفق ...

لا تفقه في الحياة شيئاً ، ولا تلزم نفسها بعمل إيجابى كريم ..
إلا الدفاع الأجوف والتطيل والتزمير لأحد الفتوات الذين ظهروا على
الملا ، وعلى سماء الأدب الحجازى فى زمن قل أن تجد فيه من « يفك
الحرف » ، وعز أن تعثر على من يعرف أو يلم إماماً ولو بسيطاً بالمعاني
السامية النبيلة . فاحتكرت الحياة الأدبية .. وأصبحت الإقطاعية
فى الأدب تمثل جيلاً معروفاً لا يزال يعيش معنا ، ويقاسمنا الحياة ،
 ويفرض علينا نوعاً معيناً من الأدب الخائق الملوث بالخنوع والاستجداء
والمعلق بالمصالح الذاتية الصرفة .

وكان لزاماً علينا أن نرفع الأقتعة الحاجبة ، وأن نكشف الستار
عن هذه المهازل الصيانية ، وأن نجد فى عزم وإيمان لتطهير الأدب من
سماسرة الرجعية وأذئاب الانفصالية .

وكم كان بودنا أن « نرمم » هذا البناء ، وأن نحاول إعطاء الفرص

لمشاغخ الأدب القديم ، أن نملهم ولو إلى حين معين .. ولكن ..
كانت أفكارهم ومبادئهم لا تزال تحن إلى الماضي .. تعيش بين ركام
الذكريات والأيام الخوالى .. واللىالى التى كانوا فيها « يصللون ،
« ويتجاكرون ، فتركناهم وشأنهم .. تركنا الأيام ريثما تعلمهم .. وتركنا
التاريخ ليدون ما لهم وما عليهم ..

وجددنا فى أسلوب التقديم والإظهار على طريقة « العرض والطلب ،
سعيننا جاهدين إلى تسليط الأضواء على نوع معين من الكتاب ...
ركزنا همنا على التعاون مع الكتاب اللامعين « القدامى » الذين يعتز
برأيهم ويستفاد من أفكارهم ، أمثال الأستاذ الكبير « محمود عارف ،
و « أحمد قنديل ، و « أحمد عبد الغفور عطار » وخلافهم من المتمكنين
من فنهم وأدبهم ويعتبرون حجة فى رأى السيد البعيد عن « التحطيط ،
والقدح والسباب .

الأدباء الذين إينخر بهم وبآرائهم ومشوراتهم .. تضافرنا معهم
وأخذنا منهم دروساً للحاضر ، وعظة للمستقبل ، وتسابقنا .. تسابقت
جريدة « حراء » الصوت الوطنى الأول فى الصحافة الحجازية ، على إظهار
نوع خاص من الكتاب والصحفيين ، احتضنتهم .. ودافعت عنهم ..
وكذا أيضاً فعلت « الأضواء » ركزت جل اهتمامها على الشباب ..
الشباب الجديد .. الأمل الباسم فى الإشراقة الجديدة .. وخصصت
الأبواب الثابتة للشباب الجامعى ، وأخذت تستفيد منه وتفيد .. ومشت
على هذا المنوال « عرفات » .

وعندما شرعنا في إخراج هذه السلسلة إلى حيز الوجود إلى عالم الحقيقة .. إلى الواقع الملموس .. إلى مجال العمل .. كان غرضنا واضحاً نيراً لا غموض فيه ولا إبهام، وكانت معاملتنا المرسومة لتحقيق هذه الفكرة التي داعبت أملنا وهو لا يزال في مهده وليدأ أن نقفز بأدبنا ، أن نحيطه بسياج منيع من الدعاية والذئوع .. أن نصهره في بوتقة نافعة .. وأن نضاعف المكتبة الحجازية بنماذج أخرى من الأدب الحى الرفيع — لا الأدب المحنط — بعد أن انحرف منتجوه عن التورط في طبع إنتاجهم واختزانه لحساب السنين .

فقررنا إخراج بعض نماذج أدبية من إنتاج شيوخ الأدب الحجازى على سبيل التقدير وفي الوقت نفسه لفتح المجال واسعاً أمام تيار الأدب النابض .. أدب الشباب .

وأخذنا نسير في طبع المؤلفات الناجحة لأدباء الشباب . وكتابنا هذا ، الذى يسعدنى أن أقدمه ، وأقدم مؤامه الكريم الدكتور النطاسى البارع حسن نصيف ، هو سادس كتاب ومؤلف تقدمه أسرة الأضواء منذ أن أخذت تشرع في تصدير هذه المؤلفات المنظمة في سلسلة شهرية ثابتة ، وثالث كتاب تدفعه إلى النشر بعد أن احتجبت « الأضواء » عن الصدور وسحبت رخصها وأصبحت في ذمة التاريخ القريب البعيد .

سادس كتاب نخرجه في ظرف سنة واحدة .. في أيام محدودة ، وقد عزمنا على السير في هذا الطريق .. طريق إخراج الآثار الأدبية من

ججورها ونشرها لكي يعرف العالم أن في الحجاز البلاد التي شع منها
النور... نور الهداية . والإيمان . . والحق . . أن في الحجاز أدباً
فنياً ، وأدباء إن لم يكونوا أرفع درجة في إنتاجهم القوى .. الذي
يستمد من الصحراء قساوتها ومن الإيمان قداسه الطاهرة ومن الحطيم
وزمزم والمسجدين طهارتهما فلن يكونوا على أية حال من الأحوال إلا
في درجة المساواة والتدادة .

ونحن إذ نجازف في إخراج هذه السلسلة الأدبية الشهرية بصورة
منتظمة .. نجازف في وقت كان من الممكن أن يتبنى هذا المشروع
شخصية كبيرة من شخصياتنا الواسعة الثراء المنعمة بالخير والرفاهية ،
ولكنها مجازفة محدودة . مجازفة لها ما يبررها ، فإننا نريد الخير لهذه
البلاد .. الخير لها وللعاملين في مضمارها الحيوى العام ، لهذا ، فإننا
سائرون في طريقنا ، لا يثنى من عزمنا دافع ، ولا تقلل من عزيمتنا هذه
المصاريف الكبيرة التي نتكبدتها شهرياً في إخراج هذه السلسلة ونحن
نؤمن أن في وزارة المعارف رجال أكفاء يتقدرون هذا العمل الشاق
الذى نحن سائرون فيه .. وهم بطبيعة الحال يستطيعون أن يخففوا عنا
بعض العناء ، يسهمون بقدر كبير في إنماء هذه الحركة الثقافية الجديدة ،
ولأنهم لفاعلون ومؤمنون بخصائص هذا المشروع الأدبي .. وإننا على
ثقة في حرصهم الشديد لبقاء هذه السلسلة على قيد الحياة .

وبعد :

وإننى وقبل أن أقف في ختام هذا التصدير أو هذا الكلام في تقديم

كتاب الدكتور حسن نصيف، أود أن أنوه بفضل رائد الأدب الحجازي
الأول الكبير صاحب المعالي الوزير الجليل الشيخ محمد سرور الصبان،
الرجل الذي وضع اللبنة الأولى في صرح الحياة الأدبية في الحجاز،
وأول من ساهم في نشر المؤلفات الحجازية من جيبه الخاص يدفعه في
ذلك واقع الخير لبلاده ورقبها .. ليسرني أن أشيد بجهد هذا الرجل
الذي أخلص لبلاده الإخلاص كله .. ومنحها من حبه وعطفه الشيء
الكثير .. الشيء الذي لا ينسى .. وسيسجل له التاريخ ما قام به من أمور
ومسؤوليات جسام كان فيها خير مثال يقتدى للرجل النافع العامل .
حفظ الله شيخ الأدب وراعيه معالي الأستاذ الكبير :

محمد سرور الصبان

أول داعية لنشر نتاجنا الأدبي ، وإفساح المجال له واسعاً لكي يشق
طريقه أمام التيارات الأدبية الأخرى حنظه الله رمزاً للعمل الكبير
والتضحية والفداء .. وإلى اللقاء في الكتاب القادم .

محمد سعيد باعشن

القاهرة في ٢٥ مايو ١٩٥٩

مقدمة إيجائية

للكاتب الساخر: احمد قنديل

لقد عرفت الدكتور حسن نصيف طالباً في
مدرسة الفلاح حين كنت أحد الأساتذة
الدارجين بها طالباً بين المكاتب والأدراج ،
والناشئين فيها أساتذة بين الفصول - والأحواش -
من بنائتها الكائنة في الجزء الشمالى الشرقى من
مدينة جدة القديمة فى عهدها لما قبل هدم السور
القديم ذى الأبراج والأبواب ...

وتميزت المعرفة به حينذاك - على أنه الطالب
ذو الدماغ الكبير - والذكاء الحاد .

كما قرأت الدكتور كاتباً - فى جريدة البلاد
السعودية لمذكرات طالب سابق - يرمز لنفسه -
بحكم المهنة ! - بابن سينا - بجامع الحكمة -
أو الدكتور ... فى كل ...

وكانت مذكرات هذا الطالب السابق بعض ماأحرص على قراءته من
الجريدة التي كنت أحد أفراد أسرتهـ من الباطن !ـ بشغف وإعجاب .
واليومـ يريد الأديب الأستاذ محمد سعيد باعشن أحد أصحاب الأضواء
وسلسلتها الأدبية أو الفكرية ـ أن أكتب مقدمة المذكرات للقراء .

ويخيل إليّ ـ بتعبير الأب الأستاذ عزيز ضياء ـ وحسب التحريات
البوليسية للصديق الأخ عبد المجيد شبكشي ـ أن اصطفائي لهذه المهمة ـ
أنا الذي لم تسجل على أية سابقة في صحائف سوابق كتابة المقدمات ـ
إن المبرر المعقول هو جنائية معرفتي القديمة للدكتور ـ دراسة وقراءة ! ـ
ولعل المبرر المنقول هو كما طالعتني به نظرات الأديب ناشر المذكرات
في ضحكات ملفوفة ـ رابطة الأسلوب « الفكاهي » بيني وبين الدكتور .
فالتصوير الفكاهي الساخر ـ هو العنصر السائد ـ أو نقطة
الارتكاز في كل فصول هذه المذكرات ...

... ثم إن صاحبها علم من أعلام « النكتة » الفنية ـ تدل على
ذلك أزجاله ومساجلاته البارعة ـ في هذا الميدان مع زميليه ـ الفار
والحداد ـ أو بادكوك والجمجوم !

و « هو » أو أنا ... ولا ضير عليك من هذه الضمائر المنفصلة ـ
أو المتصلة بنا ـ صاحب القصائد الفكاهية ـ أو الشعبيات ـ كما سماها

أخيراً عم الجميع الأستاذ السيد أحمد السباعي - في جريدة الندوة اليومية التي هي إحدى التوائم في التاريخ الحديث لصحافتنا الموحدة ..!

والشعبيات في علم الانساب للتاريخ - واعلمك الشخصي - فصل من فصول صحافتنا القديمة قبل التوحيد ، فقد كانت تنشر من حوالى ربع قرن من الزمان ، في جريدة صوت الحجاز الأسبوعية ...

والفرق الوحيد بينها - أى شعبياتنا القديمة - وبين أزجال الدكتور ومساجلاته مع زملائه الفنانين العصريين ، أن الأولى صيغت باللهجة الحجازية البلدية غير الفصحى إلا فيما يتعلق بالوزن وقواعد الإعراب في القافية ... وأن الثانية صيغت في ألفاظها وصورها باللهجة المصرية بقافية - أو من غير قافية ! .

أرجح أن ذلك هو المبرر لاختيارى لكتابة مقدمة مذكرات الطالب السابق ، والعلم كالمغنى في بطن الناشر !

وعلى الأسلوب القديم ، في قصص عنقرة ، وأبو زيد الهلالي ، والوزير سالم ، فهذا ما كان من أمر المقدمة وأسباب اختيارى لها ، على تضارب في الأقوال والأخبار ...

أما ما كان من أمر المذكرات نفسها ، فإنها الآن وقد طبعت جاهزة حاضرة بين يديك ، فلا تنتظر منى أيها القارئ أن أساير

التقليد المتبع في الإشارة ، أو النقد ، أو التعليق ، عليها أو عليك !.
فإننى ممن يكرهون عصا الأمتاذية - كلما سنحت لهم مناسبة التباهى
بحملها - إن يسرت لهم الظروف الحسنة أو السيئة ، فألقت فريسة
سائغة بين يديهم فرص كتابة مقدمة لكتاب ، أو مذكرات ،
أو مقعد ، أو ديوان ..

كما أننى العدو الأول من قديم الزمان لهذا « المتبع » أفندى
في الشروح والتعليقات ، إلا أننى كنت ... إلا أننى كنت ماذا ؟!
كنت أفضل - أولاً - أن يقوم الدكتور بإجراء عملية « الزائدة »
لاسم المذكرات ، لتكون مذكراتى ، أو مذكرات طالب ، بدلا من
مذكرات طالب سابق ..!

فهو فيما أعتقد - باعتبارده خريج بعض معاهد التجميل فى القاهرة
- أو برحة نصيف فى العلوى - أحد دعاة الرشاقة والنحافة والإيجاز ! ..
وأنا ممن لا يهتمون فى التسميات ، والعناوين أكثر من الكلمة الواحدة
- على مذهب الصاوى - فى « ماقل ودل » إن كان ذلك فى الإمكان ..
كما كنت أرجو - ثانياً - أن تزود أو تزين مذكراته عند الطبع
- بالطبع ! - ببعض ما فى « ألبوم » الحوادث والمناسبات للصور
التذكارية - من صور - ورسوم .

ولعل الدكتور مستجيب لنا في الطبعة الثانية - إن زاد اليوم عدد الزبائن القراء في بلادنا ، أو زادت مقطوعة الأدب الحديث هنا وهناك .
أو لعله يتدارك هذا النقص لضمان الرواج - في مذكراته الجديدة بصفته طالباً لامعاً من طلاب هذه المدرسة الكبرى - كما يسمون « الحياة » اليوم .

وبعد - جرياً على سنن خطباء المنابر الأفذاذ - وهي تقفيلة مباركة .. فقد أصبحت موضة المذكرات - عند المدنيين من الفنانين والفنانات على السواء ، لوناً طريفاً وشائقاً من ألوان النشاط الفكري والترغيب إلى رصد الحوادث ، وتسجيل الرحلات ، وغايتها فيما نراه الدعاية والترفيه !..

كما أنها عند العسكريين - أو السياسيين الكبار - أسرار ما وراء الحوادث ، والأسرار .. والتصوير الزمني لفظياً للمستندات والوثائق السرية - وحياة ما وراء الطبيعة الظاهرة والحياة العادية - وهدفها فيما نعتقد إزجاء الفراغ ، فازدياد رصيد الشهرة ، والكسب المشروع ...

ولما كانت المذكرات - ولا تزال - القاعدة الذهبية لهذا وما شا كل ، والسلم الموسيقي في تاريخ نشأة القصص ، والرحلات ، والروايات ... ولما كانت القصة في تاريخ الأدب الحديث اليوم - قمة

الأدب السائد والمقروء عند الجيل الصاعد - والهابط على السواء ، ففعل
الدكتور على القياس المساسل إياه ، يفاجئنا بعد أعوامه الأولى في مكة
والأخيرة في الرياض - بقصة أو أكثر من القصص الطويل
أو القصير .

تلك بعض ميزات المذكرات وكتابتها - بما فيها - مذكرات
طالب سابق ، وعقبها .

والعاقبة لديكم في المسرات . .

محمد فزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى زملائي في الدراسة ...

وإلى إخواني الطلاب الحاليين .

بناء على طلب الكثيرين من الأصدقاء والزملاء
أقدم هذه المذكرات التي ضمنها الحوادث الضاحكة
والجادة التي مرت بنا أيام الدراسة وأرجو أن تتاح لكل
واحد منهم الفرصة ليسجل مذكراته في عهد التلمذة .

والله الموفق ؟

الدكتور حسن نصيف

١٣٧٨ هـ

١٩٥٩ م

معلق

أى والله إنه مقلب من البلاد السعودية ، وإلا فكيف أتورط في تبش هذه الذكريات وقد تكون فيها أسرار تتعلق بي أو بأصدقائي ؛ وأنا أعرف أن أسلوبى والحوادث التى سوف أسردها ستكشف عن لاسمى للخاصة ولكن ثقتى فى سرية الإسم عند أسرة التحرير سوف تريحنى من عناء كثير .

فشلا أستاذنا السيد ولى الدين أسعد مدير البعثات السعودية بمصر سابقا ومن بعده من مديرين ومراقبين كم كانوا سيدفعون ثمنا لحرف واحد أخطه عن ذكريات البعثة فى مصر وما يتبع ذلك من كشف يؤكد عن أشخاص مدبرى الحوادث فى البعثة ثم العدد الطيب الذى أعتر به من تلامذتى الذين كنت أدرس لهم فى كل من مدرسة الفلاح بجدة ومدرسة تحضير البعثات بمكة ؛ أية خيبة أمل سوف يواجهونها فى أستاذهم السابق الذى كان يبدو لهم كالملاك .

وأخيراً أولادى . . إن كل واحد منهم عبارة عن شقاوة متحركة وأنا أربيهم تربية حديثة قوامها القدوة الحسنة والحرية فى المناقشة وعدم الاستبداد بالرأى . . كيف تستمر هذه القواعد التربوية فى التطبيق عليهم لو عرفوا حياة أبيهم على حقيقتها أيام التلمذة دون

رتوش .. هل سيستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أم يقولون أنا
وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مهتدون ؟ .

حقيقة إنه مقلب .. ولكن رب ضارة نافعة . لعل أصدقائي الذين
اتهموني طويلاً بتدبير المقالب يؤمنون أخيراً بسذاجتي وكيف وقعت
من أول وهلة فريسة لهذا المقلب الطريف ..





أول اتصال بالصحافة

إن الذكريات تستمد من الذاكرة لا من كتاب مكتوب ، لذلك سوف أنشرها دون مراعاة لترتيب التواريخ ، بل وفقاً لما تسعفني به الذاكرة ..

كان ذلك في عام ١٣٥٢ على ما أذكر وكنت طالبا بمدرسة الفلاح بجدة وعمرى اثنتا عشرة سنة حين زارنا خالي ودعه ورقة كتب فيها مقالا بعنوان « الغرفة الفلاحية لتعليم اللغة الإنجليزية بجدة » وموقعة بتوقيع [فلاحى] والكلمة فيها دعاية لأستاذنا الأستاذ « على عيد » أثر عودته من الهند وافتتاحه مدرسة ليلية لتعليم اللغة الإنجليزية ، وطلب خالى أن أبعثها إلى جريدة محلية لنشرها كأنها صادرة عنى فاستصوبت هذه الفكرة .

وما أن نشرت هذه الكلمة حتى بدأت أتيه أمام زملائي وأشير إليهم من طرف خفى أننى صاحب الكلمة .

وحتى ما قابلنى به زملائي على مواصلة السير فى الطريق ..

ولكن خالى لم يعد يأتينى بكلمات جاهزة للنشر ، فما العمل .. عمدت إلى كتاب [أسلوب الحكيم] الذى كان والدى قد أهداه إلى واقتبست منه اقتباسا حرفيا مقالا عنوانه [العلم] ووقعته باسم [المتعلم

الفلاحى [ونشرته الجريدة التى كان يشرف عليها أحد أقربائى ..
وأخذ الزملاء يتهامون ويتساءلون عن هذه النجاسة الإنشائية الطارئة ..
وانطلقت الحيلة على والدى فزودنى بمجموعة جديدة من الكتب الأدبية .

ثم رأيت أن أستمروا أن لا أحرم القراء من هذا الإنتاج الأدبى
الرفيع .. فعمدت إلى [أسلوب الحكيم] مرة أخرى واقتبست منه
مقالاً عن (الأخلاق) اقتباساً حرفياً وبعثته إلى الجريدة ، ويظهر أن
تقريبى المشرف على الجريدة أحس بالامر فلم ير هذا المقال النور حتى
يومنا هذا .. وكانت خيبة أمل ، صرفتنى على كره - عن الكتابة فى
الصحف مدة طويلة ، وحرمت الناس من هذا المنهل الثقافى العذب الذى
لو استمر لكانت ثقافة القراء فى بلادنا قد انقلبت رأساً على عقب .

ولكن الله سلم .



أول درس إنجليزية

كنت من محبي لعبة كرة القدم وفي وقت من الأوقات أسست فريقاً بجمدة ، وكان والدي يمنعني من اللعب خشية الحوادث والكسور وخوفاً من المشاكل الخلقية ، ومع ذلك كنت ألعب على غير علم منه وأراعى الحضور إلى البيت قبل المغرب وهو موعد حضوره والتأكد من حضورنا جميعاً .. إلى أن حدث ذات يوم أن كانت عندنا مباراة فتأخرت في الحضور إلى البيت وأخذت أفكر في الإعتذارات التي سأقدمها للوالد خاصة وأن الساعة كانت حوالى الثانية عشر والنصفه وهذا تأخير خطير يعتبر جريمة في عرف الوالد . وقاربت البيت ولم يسعفني التفكير بعذر مشروع .. فوجدت خادماً بعثه والدي للبحث عني .. وهنا فقط جاءتني فكرة الطيفة .

كان والدي يردد لى بين حين وآخر وصول الأستاذ « على عيد » من الهند وأنه سيأخذنى يوماً ما إلى مدرسته الليلية لتعليم اللغة الإنجليزية .. ومنذ بدأ الوالد يذكر لى ذلك وأنا أتهرب منه وأرجو الله ألا يأتى ذلك اليوم الذى ينفذ فيه هذا الوعد أو على الأصح الوعيد . فكفانى طامة النهار فى مدرسة الفلاح ولا داعى لإضافة طامة ليلية أخرى .. ولكنى أردت الخلاص من العلة فى تلك الليلة بأى وسيلة ولو كان فيها خراب بيت بالنسبة لى .. إذن فأمرى لله واتفقت مع الخادم على أن

يخبر والدي أنه وجدني متجهاً إلى بيت الأستاذ على عيد فأعادني للبيت .
واستمع الوالد إلى كلام الخادم وبعد أن كان الشرر يتطاير من عينه
توجه إلى حانيا مسروراً من هذا الولد النجيب الباحث عن العلم
والمعرفة .. وأنب الخادم على غباوته ثم تمنى لي التوفيق .. وأعادني
في التو إلى المدرسة الليلية .. وهكذا كنت كالباحث عن حتفه بظلمته
وبدأت على الرغم مني أول دروسى الإنجليزية ، وكان حضورى إلى هذه
المدرسة الليلية ستاراً يعفنى من الحضور قبل المغرب فكنت أتمتع بلبعتى
المفضلة ثم أتجه وأنا مطمئن إلى المدرسة الليلية .

وتحضرني ذكرى واحدة عن هذه المدرسة .. حصلت في تلك
الأيام - وكنت في حوالى الثالثة عشرة من عمرى - على كتاب يعيد العجوز
إلى عهد الصبا .. فكنت أقرأ صفحاته في هذه المدرسة في الفترات التى
كان الأستاذ على عيد يدرس لغيرى من التلامذة .. ولحنى الأستاذ ..
وصادر الكتاب بعد أن وبخنى .. وطبعاً كان هذا الكتاب فرحة
بالنسبة له لأنه من الصعب العثور عليه .. وكنت أتخيله وهو يقرأ
هذا الكتاب ويتمتع بطرائفه .. وقد تظاهر بغيرته على الأدب
والأخلاق .. وبقى الكتاب معه حتى يومنا هذا ، ترى هل يقرأ هذه
المذكرات فيعيده إلى بعد أن أخذ منه ما فيه الكفاية من درس وموعظة
حسنة ؟ .

سِرِّ قَلَمًا ..

كانت الدراسة في مدرسة الفلاح لا تنقطع طوال العام إلا في شهر ذى الحجة لتبدأ في العاشر من المحرم كل عام .

وكنا نحضر للدراسة صباحا وبعد الظهر صيفا وشتاء ما عدا شهر رمضان حيث كانت الدراسة لا تستأنف بعد الظهر .. وكان الوالد يتحسر على هذا الضياع في شهر ذى الحجة فيأخذني إلى مكتب تجارى كان يعمل به أحد أقربائى لتحسين خطى وحسابى وغير ذلك .. فكنت أقتبس من قريبي ما عنده من خبرة خطية وحسابية إلى أن فكرت يوما في اقتباس شيء أهم بلغة أهل الفن .

كنت في العاشرة من عمرى وكانت أقلام الجيب في ذلك الوقت قليلة وربما كانت أقلام الجيب في جدة تكاد تكون معدودة وأصحابها معروفون .. توكلت على الله ووضعت أحد أقلام المكتب في جيبى على سبيل الاقتباس .. وفى اليوم الثانى اكتشفوا ضياع القلم وكنت قد وضعته في البيت في مكان أمين .. وبعد سلسلة من التحقيقات مع موظفى المكتب وخدمه قرروا عمل المندل .. وتبع ذلك القيام بحرب نفسية حامية وليست باردة .

وأخذت أفكر في الموضوع جديا فالمندل لا يخيب .. ووجدت

من الحكمة تجنب عسا الوالد في هذه المناسبة الكريمة ؛ فأخذت القلم ذات صباح - ركنت أخرج لشراء مقاضى الفطور - وذهبت إلى المكتب فوجدته مفتوحاً ووضعت القلم في مكانه .. وخيل إلى أن أحدًا لم يرني .. وهدأت المسألة .. وبقيت زمنا طويلا مؤمنا بفائدة المنديل وأنه هو الذى جعلنى أعيد القلم ، مع أنى تبينت فيما بعد أن المنديل ما هو إلا مؤثر نفسانى يؤثر فى الضعفاء فيجعلهم يعيدون ما سرقوه اعتقاداً منهم بأن أمرهم مكشوف حتماً .

ولكن ذلك كان درساً طيباً لى فامتنعت عن الاقتباس منذ ذلك الوقت . وكنت أتخيل حادث القلم وما سببه لى من قلق وآلام نفسية فى ذلك الوقت فيمنعنى ذلك عن التورط مرة أخرى .



صبل من اللص وصبل من الناس


رحم الله عمي فإن له معي موقفين لا ينسيان . كانت المرة الأولى وأنا في مدرسة الفلاح بجدة وكان عندنا مدرس خط اسمه «خير الدين» وكان بيني وبين الخط عداًء تقليدي لم يكن خطي يقرأ ولم أكن أعمل الواجبات المنزلية .

و ذات يوم طفق الكيل بالمدرس وأعطاني علقه في [الفلكه] بلغت أكثر من خمس وعشرين خيزرانة . . وشكوت الأمر لوالدي في حضور عمي . فأما الوالد فقد قابل الخبر بالاستحسان التام ، وأما عمي فقد تحمس وكاد أن يذهب إلى المدرسة ليضرب المدرس الجبار . . وبعد جدل عنيف بينهما اقتنع الوالد وكتب لمدير المدرسة . . وأعفيت بعدها من حضور حصص الخط حتى جاء أستاذنا الشيخ طاهر الكردي ولنا معه مذكرات سنكتبها فيما بعد .

أما الموقف الثاني الخالد لعمي فقد كان وأنا طالب بمدرسة تحضير البعثات . . كنت قد انتهيت من السنة الأولى وأصابني ملل من استئناف الدراسة وفكرت في التوظف أو العمل في المحاماة أسوة بالوالد . وفاتحت والدي في الموضوع في حضور عمي أيضاً . أما الوالد فقد استنكر الأمر وأما عمي فقد استحسنته وأخذ يضرب الأمثال لوالدي بالأثرية الأميين وبين له أن العلم ليس ضرورياً وعدد له مزايا الجهل وأمثله

الناطقه .. ولكن الوالد لم يقتنع واستأنفت الدراسة .. وحرمت من
نعمة الأمية . من يدري ! ربما لو استمع الوالد لنصيحة عمي لأصبحت
اليوم من أصحاب الملايين الذين يشار إليهم بالأصابع المطعمة بالمال ..
أو من أصحاب البنوك الذين يشار إليهم بدفاتر الشيكات وخطابات
الاعتماد .. على حد تعبير أولئك الذين يقولون إن العلم والغنى عدوان
لا يجتمعان ولكن ما يمتنى المرء يدركه . ومرة ثانية : رحم الله
عمي .





عاصى أبى

كان والدى أستاذى الأول فى الإنشاء .. كان خطه ولا يزال لا يقرأ
فكان يكلفنى بتبويض مذكراته وقضاياه وعرائضه وكان يكلفنى بنسخ
الأنظمة التى تنشر فى الجرائد فى دفتره الخاص .. ومن أسلوبه الإنشائى
تعلمت الكثير .. ومن مكاتباته عرفت كثيراً من المسائل الفقهية ..
وعنه تعلمت قاعدة هامة استفدت منها كثيراً فى حياتى العملية ولا أزال ..
كان بيتنا أشبه بمحكمة : يأتى الشاكي أو الشاكية - ويتكلم ويتظلم ويذرف
الدموع ونتحمس جميعاً لشكواه حتى نكاد نبطش بخصمه لو وجدناه ..
ولكن والدى لم يكن يتأثر إطلاقاً .. بل كان يقول للشاكي عندما ينتهى
من شكواه [هذه نصف الحقيقة على الأقل وسوف نستمع للطرف الآخر
عسى أن نصل إلى الحقيقة كاملة] .. وفعلاً كان يتحقق ظنه كثيراً ..
وقد وعيت هذه الفكرة فلست الآن أصدق طرف الخصومة ولا أصدر
حكمى على شىء حتى أستمع إلى جميع أطراف القضية .. وعلمنى والدى
الصبر على الشدائد .. كنت موضع سره ومنذ العاشرة من عمرى كنت
أمين صندوقه فى حضوره وسفره فكنت أعرف دائماً أحواله الاقتصادية
وما يعانى به من شدة أحياناً .. وكان يلذ لي التنقيب فى أوراقه الخاصة
فى غيابه .. فوعيت كثيراً من دروس الحياة وغيرها ومن الصبر على

الضائقات ، ومن الكفاح في سبيل الحق والعقيدة كما تعلمت أن أمد
رجلي على قدر فراشي ، وألا أمد يدي لمخلوق ما وما أكثر ما يعيه الإنسان
في الحياة من مدرسته ومن حياته نفسها ولكن المدرسة الكبرى هي
مدرسة الوالد لو أعطيناها حقها من العناية والدرس .



بركاً على الركب

استوت الدهشة علينا جميعاً نحن طلاب السنة السادسة الفلاحية ونحن نرى أستاذنا الوديع الحبيب الشيخ طاهر الكردي يدخل علينا وفي يده عصا ؛ وأحسننا الظن في البدء فقلنا لعلها عصا يتوكأ عليها أو على الأصح تتوكأ عليه فقد كانت طويلة جداً ولكننا فوجئنا بالأستاذ وهو يطالبنا بواجبات الخط ومن لم يقدمها يخاطبه قائلاً [بركاً على الركب] ثم ينهال على رجله بالضرب الشديد إلا إذا استطاع التليذ أن يعرب هذه الجملة إعراباً صحيحاً وكان ذلك لي هو الفرج فقد كنت جيداً في النحو. ولكنني أعتقد أن الذي شفع لي أكثر هو صلة الصداقة التي تربط الأستاذ بكثير من أفراد عائلتنا . وكان الأستاذ طاهر من أحب أساتذتنا إلينا لولا تلك الحادثة التي طرأت عليه وحرنا في تعليلها فما أسباب ثورة الأعصاب المفاجئة والأستاذ ليس متزوجاً وليست لديه عوامل أخرى لإثارة الأعصاب ؟ كان يدعونا دائماً لداره وفي سنوات الفلاح الأخيرة كنا نساعد في نسخ كتابه الأول عن الخط العربي ثم أصبحت بينه وبين طلابه صداقة عميقة الجذور كنا في البعثة بمصر فدعاني مع الصديق أسعد مجموعم إلى غرفته بالأزهر وأكلنا عنده يومها [مختوم بامية] من صنع يديه وهو طاه ماهر . واكتشفنا عند ذاك أنه أستاذ من طلاب

الأزهر السابقين وأن غرفته محجوزة في الأزهر ينزل بها كلما سافر إلى مصر وقضينا معه ليلة ممتعة بالأزهر مع رئيس الرباط النمنى - رحمه الله . وعلى ذكر غرف الأزهر المحجوزة في الأروقة أذكر أن أصدقاءنا المشائخ بأبصيل والكعكى والمرزوقى والفدا والمنيعى لا تزال لهم غرف محجوزة في أروقة الأزهر الشريف ينزلون بها كلما سافروا إلى مصر ويتمتعون بالجراية اليومية . . ترى لماذا لم نلتحق بالأزهر لنتمتع بهذه الإقامة الأبدية والجراية السرمدية ؟

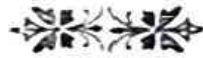
وعلى ذكر الجراية أذكر أن بعض زملائنا في البعثة بمصر من طلاب الأزهر كانوا يتنازلون عن هذه الجراية للموظف المشرف على تسجيل الحضور والغياب نظير تسجيلهم بين الحاضرين . ولا أريد تسميتهم فإن بعضهم يشرف على تربية هذا الجيل المسكين . .



المصا في زمرة الثانية

كنت في السنة الثانية بمدرسة الفلاح عندما دخل علينا وكيل المدير ويده عصاه التقليدية واستدعاني مع زميلين آخرين وخرجنا نتعثر في خطانا .. فوجدنا بعض عمالقة الطلاب واقفين في الانتظار .. وسرعان ما وضعوا في [الفلكة] واحداً واحدا وطلب منا الوكيل أن نضربهم لأنهم شردوا من المدرسة .. فوجئنا وخفنا أن نضربهم فيلتقموا منا عند الانصراف .. ولكن الوكيل هددنا بالضرب إن لم نضربهم ضرباً شديداً نكاه فيهم وزجراً لهم .. ونفذنا الأمر تحت التهديد .. وكان الوكيل شديداً لدرجة أنه في ساعات بعد الظهر عندما تنتهى عمليات الضرب الصباحية ولا يجد ما يسد به الفراغ يطلب دفتر الغياب ويستدعى التلاميذ الغائبين في الأيام السابقة ويتسلى بضربهم .. وهكذا كان أول من اخترع نظرية قتل الفراغ .. وكان يصيبنا الكثير من تطبيق هذه النظرية في المدرسة .. كان يلذ لي حضور المصارعات بين أقطاب المصارعة الفلاحين ، التي كانت تتم كثيراً عقب الانصراف .. ولم يكن دورى في المصارعات بسيطاً كما قد يتوهم البعض . فقد كنت أحمل ثياب المتصارعين أثناء المصارعة .. وكنت أدفع ضربة هذه البطولة من عصا الوكيل التي لم تكن ترحم .. وكان أقطاب المصارعة والهرب يستعدون للضرب بوضع روث البقر على أرجلهم حتى تخف

شدة الضرب عليهم . وكنت أتلقي الضرب ببطولة ودون استعمال روث
البقر .. وكثيراً ما قضيت ساعات باركا أو محروما من الغذاء أو
المسحة .. ولكن للبطولة ثمن يجب أن يدفع والآن انقضى عهد
العصا أو كاد وتسللت أساليب التربية الحديثة إلى المدارس .. وعندما
عملت مدرسا فيما بعد استغفيت عن العصا ولكنني وجدت فيما بعد أنها
أجدى وسائل الإقناع التي لا يستغنى عنها في المدارس فعدت إليها .. !
ويجد طلاب اليوم وسائل النشاط الرياضي في المدارس فينصرفون عن
الشقاوة ويشغلون أوقات فراغهم بما ينفعهم وتصبح العصا في ذمة
التاريخ .



أضفت البرنجية

كان ترتيبى الثانى فى التخرج فى مدرسة الفلاح بجدة ، ولذلك قصة فيها عبرة .. كان التقليد السائد فى مدرسة الفلاح ألا يتغير الأول أبداً خاصة إذا كان أكبر سناً من زملائه وهادئاً عاقلاً ؛ يكتب اسماء المشاغبين وغير الحافظين .. وجاء الامتحان النهائى فى السنة الأخيرة .. وجلسنا لامتحان الحساب وكنت متفوقاً فيه وكان أول فصلنا يجلس إلى جانبي فأمايت عليه جميع الأجوبة الصحيحة .. فاحتفظ بالبرنجية عن جدارة وأخذ ١٥٠ من ١٥٠ فى المجموع النهائى بينما أخذت ١٤٨ فقط واضعت الثمرتين فى الحُطّ وهكذا فقدت البرنجية بفعل يدي . وبقيت هذه ذكرى أليمة تحز فى نفسى كلما ذكرتها .. هل كنت على حق وهل يندم الإنسان على مثل هذا الإيثار؟ .. وما يذكر أن زميلي قد أخطأ فى أجوبة علم الصحة وكان الاختبار شفوياً .. وكان من الممكن أن نتساوى أو أتفوق عليه .. ولكن دموعه وتقاليد الفلاح العتيقة وقفتا إلى جانبه ورجحته فى آخر لحظة .. حقاً لقد كان لمدرسة الفلاح تقاليدها وبعض متاعها . ولكن لاشك أنها كانت اللبنة الأولى فى بناء تلاميذها من حيث اللغة العربية والعلوم الدينيه .. لقد حفظنا ألفية ابن مالك متناً وشرحاً وحفظنا [معنعن كعن سعيد عن كرم] ودرسنا أصول الفقه وكنا نردد كثيراً من العلوم كالبيغاء . ولكن رواسب كثيرة من هذه العلوم بقيت وكانت حجر الأساس فى حياتنا فيما بعد .

ليلة في الدهليز

كنت طالباً بمدرسة تحضير البعثات وجاءت الأجازة الصيفية وذهبت لقضاءها عند أهلي في جدة .. وكانت مدرسة الفلاح لا تعطل .. وصادف سفر أستاذ العلوم الرياضية بعد انتهاء خدمته .

فطلب المرحوم الشيخ محمد صالح جمجوم من والدي أن أتولى تدريس هذه العلوم في فترة الأجازة .. فقممت بهذه المهمة وأنا حديث السن يكاد تلامذتي أن يقاربوني في السن .. وأحسست أني قد تطورت وأنه لا بد لعلاقتي بالوالد أن تتطور أيضاً .. فأخذت أتمتع بالفصح ولا أخرج عن التأخر بعد المغرب .

ودعاني أصدقاؤني إلى نزهة بحرية [بالبای] لصيد السمك فأذن لي والدي وقضيت ليلة ممتعة .. فلما دعوني مرة أخرى فرحت واستأذنت من والدي فأذن لي أيضاً .. ولكننا في هذه المرة عدنا بعد منتصف الليل وليس في الصباح كالمرّة السابقة .. عدت إلى البيت فوجدت باب البيت مقفلاً ولكن كان هناك جبل متصل بالمزلاج يتدلى للخارج ففتحت الباب ودخلت .. ولكن باب الدرج كان مقفلاً من الداخل .. وفكرت في طرق الباب ولكنني خفت أن يصحو الوالد منزعجاً ويتنبه إلى عودتي المتأخرة ويندم على إذنه لي ، ويتطور الأمر إلى فصل جديد من فصول الضرب الشيقة .. فأثرت الجلوس في الدهليز على الأرض ولم يكن هناك

نور ولا كهرباء .. وكانت الفيران تداعبني وتراقص من حولي مرحة
فرحة .. وغلبني النوم فتوسدت بساط الرحمن .. ولكن أبي النوم أن يأتي
في ذلك الجو القائظ ومع قطعان الفيران المرحبة .. وقضيت الليلة ساهراً
حتى أذن الفجر فقممت إلى المسجد القريب وأديت صلاة الفجر .. وبعد
الصلاة أخذت مصحفاً وأخذت أتلو ما تيسر من القرآن على روح
تلك الليلة الشهيدة .. وعندما تأكدت من فتح الأبواب عدت متسللاً
إلى المنزل .. ترى كم من أبناء هذا الجيل يخشون آباءهم إلى هذا الحد ؟ .



لمعلقة .. !

كان ذلك في شهر ذى الحجة ١٣٥٥ وكنت في السادسة عشرة من عمري ،
وقد نلت شهادة الفلاح النهائية وتنفس الصعداء . وأخذت أفكر
في حياتي العملية المقبلة وشعرت أنني قد بلغت مبلغ الرجال ولكن خاطراً
واحداً كان ينفص أحلامي اللذيذة .. فقبل تخرجي بسنتين أوفدت
الحكومة إلى مصر بعثة للالتحاق بدار العلوم والجامعة الأزهرية وهي التي
من ضمن أعضائها الأساتذة : السويل وعبد الجبار والفطاني .. وتمنى الوالد
وقتها لو كنت ضمن المبعوثين ولكنه كان يريد أن أنتهي من دراسة
الفلاح . وهكذا مرت الأزمة ولكن الغيب كان يدخر لي أزمة أخرى ..
فبعد تخرجي في مدرسة الفلاح ظهر في الأفق شبح واعد جديد وهو تفكير
المعارف في افتتاح مدرسة تحضير البعثات بمكة .. وكان الوالد في مكة تنقب
الحج وقدم إسمي للمعارف دون أخذ رأيي في هذه المخاطرة الشاقة
واستدعاني قريبي المشرف على التعليم بجدة وحملني إلى هذا النبا الفظيع
وخطاباً من الوالد عن الاستعداد الواجب على لمواجهة الحالة الجديدة
عدت إلى البيت وأنا مكتئب وكان ضمن خطاب الوالد شراء قماش
لي وإعداد ثياب جديدة للمدرسة واشترينا القماش وأخذت الوالدة تخطط
الثياب . وكان لي أخ صغير هو الآن طالب بالجامعة .. الأخ يلعب
في الغرفة فداس على القماش والثياب الجديدة فضربته .. وإذ بالوالدة

الوديعة التي لم تضربنا إلا مرات معدوات والتي كانت تضمد جراحنا
بعد [علاقات] الوالد ، إذا بها تنهال على ضرباً باليد وبالمروحة .. أكلت
العلاقة وأنا ذاهل وهكذا استدبرت عهداً واستقبلت عهداً آخر بعلاقة
كانت ختام العلاقات .



الجمع على الحمير

رحم الله زمناً مضى لم تكن السيارة قد وطدت مكانها بعد ولم يكن الراديو والمسجل والكهرباء وغيرها من المخترعات الحديثة أشياء معروفة لنا .. إن شباب الجيل الحاضر أسعد حالاً منا وأحسن مستقبلاً .. إنهم يفتحون عيونهم على الراديو وغيره من وسائل الثقافة الحديثة التي تساعد على تنمية مداركهم مع المدرسة .. أما نحن فقد عشنا أيامنا الأولى في زمن الحمير .. حججت وأنا صغير مرتين على الجمال وقطعت الطريق من جدة إلى مكة في يومين وعرفت [الوسك] و [العصم] وغير ذلك من المصطلحات التي انقلبت مؤخراً إلى موديلات حديثة من السيارات الأمريكية .

وعندما أدركت سن البلوغ اشتقت شوقاً كبيراً إلى أن أحج حجة الفرض .. فكيف أنقل هذا الخبر إلى والدي وأنا الذي لم أكن أجلس في مجلسه أو أرفع نظري إليه .. وكان يحج في كل عام وأنا معه ولكنه لم يكن راغباً في الحج في ذلك العام بسبب الأحوال المادية .. ووسطت الوالدة في نقل هذه الرغبة إليه فبعثني مع عمي للحج وحملتنا السيارة من جدة إلى مكة وفي مكة كان ينتظرني حماراً لنا يجرب ميل الماء طول العام .. وتصور مثل هذا الحمار القوي يحمل حدثاً صغيراً .. لم أستطيع أن أكبح جماحه وغضب عمي - رحمه الله - لأنني أسبقه وهو المعقود

لله الرئاسة وكانت مشكلة لم أهتم إلى حل لها ولم يهتم الحمار الملعون ..
أما الآن فإن أولادنا يتدربون على قيادة السيارات وليس لواحد منهم
أن يفخر بأنه عاش يوماً في زمن الحمير .. لقد كان الحج في تلك الأيام
متعة وفسحة وكانت له ذكريات شيقة .. وكانت الحمير تنقلنا من مكان إلى
مكان دون توقف وانتظار [السرا] ساعات طويلة ممتعة بحرية المرور
البرى .. إننى أعمل الآن عملاً يتطلب سرعة الانتقال في الحج ولكننى أقف
ساعات فى انتظار [السرا] فى سيارتى .. وأنا متحرق شوقاً لزمن الحمير
واننى أفكر فعلاً فى اتخاذ هذه الوسيلة السريعة المريحة وأتردد فى ذلك كل
عام .. فتى أستطيع تحقيق هذه الرغبة ؟ لعلى لو وجدت الحمار لتشجعت
على تنفيذ الفكرة . فهل أجده ؟



ليفة بادكوك

عشنا سنوات لذيذة في القسم الداخلي بمكة كانت أحوالنا المادية جميعاً متواضعة ؛ العشرة الريالات تكفي الواحد منا أكثر من شهر أو شهرين ، ولم يكن طريق جدة معبداً فكنا لا نزور أهلينا إلا كل بضعة شهور في الأجازات في سيارة البريد فقد كانت وسيلة المواصلات الوحيدة تقريباً . وكان الصديق الأستاذ محمد بادكوك من أغرف الشخصيات التي زاملناها في تلك الفترة .

أنت والدته - رحمها الله - إلى مكة في مبدأ دخولنا المدرسة وكلت الشيخ عريف المشرف عليه طالبة التوسط لدى السيد طاهر الدباغ مدير المعارف وقتئذ ليسمح لها بالذهاب إلى القسم الداخلي بمدرسة تحضير البعثات حتى تتأكد من راحة ابنها وتعلق له الليفة وتدق له مسامير الناموسية وتعلق له المنشفة وترتب شنطة ملابسه . ولم يفلح الشيخ عريف في إقناعها إلا بعد جهد كبير وكانت - رحمها الله - من السيدات المتحدثات نذهب خصيصاً لزيارتها في جدة مع الأخ محمد فتأخذ في إلقاء محاضراتها وأحاديثها من وراء ستار . وتأخذ نحن في التحريش بينها وبين ابنها ونزوى لها عنه بعض أشياء ولا نخرج إلا وقد وقع بينهما ما صنع الحداد وما لم يصنع .

ومن طرائف الأستاذ بادكوك في مكة أن كان شخص مخبول يتردد

على دار البعثات في المسئلة ونأخذ في مداعبته والتبسط معه وفي أحد
الأيام كان البادكوك يقف على باب الدار وقد ارتدى أنحر ملابسه
ونظاراته فر الشخص المخبول وألقى حفنة من التراب على وجه البادكوك
ثم تبين المخبول شخصية البادكوك فاعتذر له قائلاً : لا مؤاخذه حسبك
شبنكش [يقصد الشيخ حسين شبكشى للشبه الذي بينهما] فلم يكن من
البادكوك إلا أن قال له : [وافرض إني شبنكش ترميني بالتراب] ثم
استغرق في ضحكة عالية من ضحكاته المعتادة واستمر في هذه المناقشة
الطريفة دون أن يتأثر من هذا الحادث .



النجاة... النجاة

المتداول بين الناس أن التلاميذ يحزنون أساتذتهم . والناس يقولون على سبيل المداعبة أو المبالغة . ولكننا - كتلاميذ - وفقنا في يوم من الأيام لنجس أحد أساتذتنا جنونا حقيقيا انقطع بعده عن التدريس .

كنا في مدرسة تحضير البعثات والغرفة التي خلف فصلنا بها المعمل الكيماوى وفيه مواد ملتهبة سبق أن التهمت مرة وكادت تحدث حريقاً . وكان المدرس يلقي علينا درساً في النحو العربى عن الاختصاص . وهو مدرس ممتاز متمكن من علمه تماماً ولكن كان يقابله تلاميذ متمكنون من شيطنتهم أيضاً .

كانت هناك فرقة لا تكف عن الضحك بسبب وبدون سبب . وضرب الأستاذ مثلاً للاختصاص [نحن معاشر العرب الخ] فسألناه عن مفرد معاشر . ثم أخبرناه أننا فى الزواج نستعمل المعاشر وأن مفردها معشرة .. ثم تطرق البحث إلى سبب تسميتها معشرة فقال الأستاذ : ربما لأنها تكفى لعشرة أشخاص يجلسون حولها .

وهكذا تطور البحث .. الأستاذ جاد ونحن هازلون وفرقة الضحك - وكنت من أعضائها البارزين - تؤدى واجبها على الوجه الأكمل .. وقطع الأستاذ المناقشة صارخاً [النجاة النجاة . أخرجوا سريعا]

وكان هو أول الخارجين فتمنعناه نجرى ظانين أنه رأى شيئاً في
المعمل قد التهب . ولكننا لم نجد شيئاً ، ونزل الأستاذ إلى غرفة الإدارة
وحمل شنطة الكتب وخرج ولم يعد بعدها . وأوقعنا مديرنا السيد
إسحاق عزوز في ورطة فقد عرف عن الحادث واحترار في الشخص الذي
سيخلف الأستاذ ويكون عنده الاستعداد لتأني نفس المصير وبعد هذا
الحادث بمدة يسيرة كنا في الحميدية نودع سمو الأمير فيصل المعظم
- شفاه الله - وألقى أحد المدرسين قصيدة لم تكن مناسبة للمقام .

وكان أستاذنا حسين الحوت حاضراً وهو شخصية طريفة وكانت
لنا معه مداعبات ومناوشات . فقال الأستاذ الحوت بعد عودتنا إلى
المدرسة [ما هذا البلد إن فيه كثيراً من المجانين] وأشار إلى الشاعر وإلى
الأستاذ الذي سبقه فقلت له على الفور : [ولكنهما ليسا من أهل هذا
البلد] فكانت نكتة لازعة تقبلها ضاحكاً وضحك لها الزملاء .

فقد كان الاثنان اللذان عناهما من بني وطنه .



نزهة فراككة فتوة

كان الأستاذ عبد الرؤوف الأفغانى مدرس اللغة الإنجليزية من أطف الشخصيات : وفوق إلمامه الواسع باللغة الإنجليزية كان عالما جليلا ذا اطلاع واسع ؛ وفى فترة من الفترات غاب مدرس الرسم فقام بتدريس هذا العلم لنا خير قيام مع أنه فن قائم بذاته له أصوله وقواعده . كان بعض زملائنا قليلي الحفظ ضعيفي الذاكرة فوصف لهم وصفة هندية لطيفة تتلخص فى أن يحلقوا رؤوسهم ويضعوا عليها [زيت لبوب سبعة] ما أحوج الإنسان الآن لاستعمال هذه الوصفة لولا ما يلزم لها من الحلاقة [الزبلطة] .

وذات يوم اقترح علينا الأستاذ أن نقضى يوم جمعة فى بستان الزاهر بمكة وأخذنا نعد للأمر عدته وأوصانا أن نشترى تفاحة بأكلها لكل عضو فى الرحلة وكان حصول الواحد على تفاحة كاملة يعتبر غنيمة فى ذلك الوقت .. وبين لنا أهمية ذلك فالمثل الإنجليزي يقول (تفاحة فى اليوم تغنيك عن الطبيب) .

An Apple Aday Keeps A doctor Away

وفى يوم الجمعة المحدد ذهبنا إلى البستان فرحين مرحين والأستاذ يشرح لنا كثيرا من خصائص النباتات .. ووجدنا رجلا يستحم فى بركة البستان فضايقناه حتى خرج لأننا كنا نريد البركة خالصة لنا .

ولم نكن نعرف أن خروجه سيوقعنا في أزمة . طلبتنا رئاسة
القضاء مع أستاذنا في اليوم التالي لأننا لم نصل الجمعة . ولم نهتم للأمر
كثيراً في البداية ولكن أستاذنا كان يخرج في اليوم الواحد عدة مرات
لمقابلة المسؤولين ويعود ليفضى إلينا بنتيجة جهوده .

مرة مثلاً قال للمسؤولين إن السبب في عدم نزولنا للصلاة أن [سيارة
حامد هرساني خربانة] وهي السيارة التي استعملناها في الرحلة وأخذ
يلقننا هذه الحجة لتتفق كلمتنا .. وأخيراً أحيات القضية إلى الشرع
ووكلنا الصديق الهرساني وكالة شرعية لحضور القضية .. ولا أذكر
الآن سر اختيارنا له .. ربما لأننا كنا صغاراً وكان هو أكبرنا
سناً .. وأخيراً حكم القاضى بتتوينتنا وأخذونا يوماً مع أستاذنا إلى
مركز هيئة الأمر بالمعروف المجاور للحرم بمكة وتبنا واحداً واحداً ..
وخرجنا ونحن لا نصدق أننا خلصنا من الورطة بهذه السهولة .

ولكن الفضل يرجع إلى براعة المحامى وإلى سيارته [الخربانة]
وإلا لأصبحنا الآن من أرباب السوايق .

المدرسة العصرية والمحافظة

الأستاذ السيد إسحاق عزوز رجل فاضل ربى أجيالا من أبناء هذه البلاد ، وهو رجل جمع بين المحافظة على التقاليد العربية والإسلامية وبين الروح العصرية المتحررة .. كنا في القسم الداخلي بمدرسة تحضير البعثات وكان يأتي ليوظنا لصلاة الفجر .. وعندما ألفتنا فرقة الكشفة بالمدرسة كان يرتدى معنا ملابس الكشفة ويمر مع الفرقة في الأسواق دون أن يتحرج أو يأبه لكلام الناس .. وكنا نجلس في الفصل على مقاعد قطنية وننتهز أوقات التسهل لتضارب بهذه المقاعد .. وكنت يوماً أتضارب مع الصديق السيد أحمد شطا فرميت بالمقعدة فأنحرف عنها وكان السيد إسحاق داخلا الفصل للتفتيش ، فإذا بالمقعدة تصيبه في وجهه .. وأكلها السيد إسحاق ولم يتكلم وخشيت أن تحدث عواقب لهذا العمل ولكن الحادث مر بسلام وتقبله السيد إسحاق بروح رياضية ممتازة .

والسيد إسحاق خطيب رائع - كثيراً ما يلقي الخطب في المناسبات فيأخذ بمجامع القلوب بأسلوب بسيط مؤثر .. وكان يفاجئنا كثيراً أثناء الدروس . نلتفت فإذا هو جالس في الصفوف الأخيرة يحضر الدرس ويراقب أعمال المدرسين .. وعندما ترك مديرية مدرسة تحضير البعثات فيما بعد أقنأ له حفلا كبيرا بالمدرسة لتكريمه حضره رجال العلم والأدب في مكة .. إن كل تلاميذ السيد إسحاق يعتزون به وقد أصبحوا

أصدقاء له . . يفخرون بصداقته . . ولكنه كصديق يختلف عنه كأستاذ
فإن له مع أصدقائه مقالب وتحريشات . . ولذلك فإنهم يأخذون حذرهم
دائماً من مقالبه وتحريشاته .



صلوة الميت الغائب

على أثر نشر مذكرتي عن ليقة [بادكوك] اتصل بي تلفونياً وذكرني بموضوع [صلوة الميت الغائب] ووعدني بأن يبعث إليّ مجموعة من المذكرات لأنشرها وها أنا ذا في الانتظار ..

ولكن البادكوك وحده عبارة عن مذكرات ولو أردت الاسترسال في مذكراتنا معه لاضطرت لفتح باب جديد في البلاد السعودية بعنوان [مذكرات مع البادكوك] أو [البادكوكيات] .. ولذلك سأحاول الاختصار ..

كنا في القسم الداخلي بمدرسة البعثات ؛ وبعد أن أفطرنا أخذنا نستعد للنزول إلى الفصول الدراسية وأخذ بادكوك يلعب نظاراته ويمضغ فوفلته .. ودخل علينا ساعي البرقيات يحمل برقية لبادكوك وفضها فإذا فيها خبر وفاة والدته والبرقية موقعة من محمد علي أبو داود بجدة .. فذهلنا جميعاً لهذا النبأ ولكننا واسيناه بأن البرقية لم ترد من أحد أقاربه حتى يتأكد .. ولكن محمد علي أبو داود زميل أخيه في العمل وفي حكم القريب ولذلك لم تنفع هذه المواساة ولم يكن الاتصال التليفوني بجدة ميسوراً كما هو الآن .. أخذ البادكوك يبكي ونحن معه وأساتذته وزملاؤه يعزونه .. وأخذ الأستاذ عبد الرؤوف الأفغاني يلقي عليه المواعظ الدينية والآيات مثل (إنك ميت وإنهم ميتون) و(كل نفس ذائقة الموت)

وغيرها .. واستأجر الشيخ العريف له سيارة إلى جدة بعشرة ريات
بالوفاء والتمام وكان هذا مبلغاً باهظاً في ذلك الوقت .. سافر البادكوك
إلى جدة قبيل الظهر ولم يكن الطريق معبداً .. وقبل أن يذهب إلى
البيت مر على [أمنا حواء] وسأل هناك [هل دفن أحد] فلما أجيب
بالنفي ظن أنهم في انتظاره وأسرع إلى البيت .. دخل أولاً غرفة
أخيه عبد الرحمن وهو أصم فسأله عن الجنازة وموعدها فأخبره أنه
لم يعلم عن ذلك وأخذ في البكاء والعيول وصعد الأخوان وهما يكيان
وعبد الرحمن أكثر بكاء وغيلاً .. ووجدا والدتهما تتوضأ فانكب
عليها محمد مسلماً باكياً بينما جلس عبد الرحمن على الأرض منتحباً ..
وعرفت الوالدة الخبر فأقبلت على عبد الرحمن تعنفه قائلة [طيب محمد
له حق وجاءته برقية وأنت ما هذا الجنان] وبعد أن سكن الروع
أخذوا في التحقيق وسئلت إدارة البرق .. فإذا مرسل البرقية هو
محمد حسين أصفهاني بمناسبة أول إبريل وانتحل إسم محمد علي أبو داود .

وفي ليلة سفر البادكوك إلى جدة صليت العشاء ثم صليت صلاة
الميت الغائب على روح المرحومة .. واشتكى البادكوك وحكم على
الأصفهاني بإعادة المبلغ الجسيم إلى بادكوك مع إنذاره بعدم العودة إلى
مثل ذلك .. وتخاصم الاثنان طويلاً وكان بادكوك إذا صادفه في
الأسواق يعرض عنه حتى تصالحا فيما بعد .. وفي تلك المناسبة نظم
الأستاذ محمود عارف قصيدة فكاهية جميلة طويلة يقول فيها :

وآخر من كراتشى رآك تجرى المواطر
مشى إليك وواسى تم جانما كيس خاطر
ويقصد بذلك الأستاذ الأوفى
ويقول واصفاً الرحلة إلى جدة :-

وغرزت عجلات دفعت والعزم خائر
ويقول :

لقد جنى الأصغهاى وكم أتى من ضرائر
برقية صاغ فيها أكذوبة وهو شاطر
ويقول لبادكوك ناصحاً بعد أن أصابه رعب وحالة نفسية سيئة :-
بادكوك أملك هذى تجيد طلق المجامر
نخذ بقرش لباتاً من عند عبد القادر^(١)
وقل لها بخرينى من كل جنى وساحر



المدير الذى غفبنا من أمله

كان فضيلة الأستاذ السيد أحمد العربى من أحب أساتذتنا إلنا ..
كان مدرساً قديراً محبوباً ومديراً محبوباً أيضاً .

وهو متمكن من اللغة العربية وقواعدها وآدابها معرفة وتديرسا
وحريص على التحدث باللغة العربية حتى عندما يشتم تلاميذه فكثيراً
ما كنا نسمع منه [أنت لكع) و [أنت ضحكة] وهو مرب فاضل
قدرة فى الأخلاق والاعتداد بالنفس والسيرة الحميدة .

كنا فى السنة الأولى بمدرسة تحضير البعثات عند ما قررت مديرية
المعارف العامة نقله من مديرية مدرستنا إلى مديرية المعهد العلمى
السعودى .. فغفبنا لذلك وقررنا أن نمتنع عن تلقى الدروس حتى
تعدل المعارف عن رأيها ..

وأزعج هذا الخبر المعارف ورجالها .. فهذه أول مدرسة ثانوية
يرونها ويحرصون عليها ومن الصعب أن تقبر فى مهدها بمثل هذه الأعمال
الصيانية .. جمع المدير الطلاب فى إحدى غرف القسم الداخلى بالمدرسة
وأقبل علينا السيد محمد شطا مفتش المعارف الأول فى ذلك الوقت وكان
ذا شخصية قوية ومرهوب الجانب .. وصادف عند دخوله علينا أن
السيد عمر عقيل كان ياقى علينا واحدة من خطب الزعامة ..

وبعد أن حقق معنا انصرف ونحن نضرب أخماساً فى أسداس بعد

أن تبخرت خطب الزعامة وراحت السكره وجاءت الفكرة .. وفي
اليوم التالي جمعونا مرة أخرى وألقى فضيلة السيد طاهر الدباغ مدير
المعارف العام خطابا فينا جمع بين النصيحة والوعيد ، ثم أعلن علينا
ما قرره وزارة المعارف من فصل بعض المحرضين وخصم نمر الأخلاق
على الباقين ، وعادت المياه إلى مجاريها .. وبعد بضعة شهور صدر غفر
عن المفصولين .. وقد عاد السيد أحمد العربي مرة أخرى إلى مديرية
البعثات بعد مدة وصادف أن كنا في السنة الرابعة وتأخرنا عن صلاة
الظهر جماعة وكان هو يؤم طلاب المدرسة وجئنا إلى مكان الصلاة
وقد منا السيد حسن شطا (إمام الطوارئ) وصلينا خلفه .. وبعد
انتهاء الصلاة دعانا المدير وعد عملنا هذا مخالفة وتحديا فقرر معاقبتنا
جميعا بالطرد من المدرسة مدداً مختلفة وأفغلت السنة الرابعة .. والمصيبة
أنه أرسل قرار الفصل لأولياء أمورنا وبدأت شخصيا أتتبع حركات
الوالد من جدة إلى مكة كما نتتبع الآن تحركات الأسطول السادس ..
وتوسط المرحوم السيد صالح شطا ، والشيخ أحمد الغزاوي - أمد الله
في حياته - وقال الشيخ الغزاوي للسيد أحمد العربي : (إن لهؤلاء التلاميذ
بالذات معك موقفا عندما غضبوا لك فلعل هذا يكون شفيعا لهم) ..
وفعلا عدنا إلى قواعدا سالمين .

أَمِيرُ الْقَهْوَجِيَّةِ ... وَالْبَرِيدُ الْمَكْبَرُ

إنها ذكريات متفرقة عن أيامنا في مدرسة تحضير البعثات بمكة .. كانت أمسيات جميلة نترقبها ونقضها في المسفلة حيث عرفنا قهاويها وأصحابها معرفة شخصية .. وعلى مرا كيز قهوة البخاري تعرفنا بالأستاذ الكبير حمزة شحاته وبدأنا نسمع أشعاره ونوادره الأدبية .. وكانت له شلة أدبية تجتمع كل يوم إلى جوار مركزنا .

وهكذا كان بدء اختراع الندوة الأدبية (مع الاعتذار للأستاذ فؤاد شاكر) .. وكان يلم بنا الإفلاس في بعض الأوقات فنحول اتجاهنا إلى أعلى مكة حيث نذهب إلى قهوة البلدية ، وكانت تقع مكان قلم المرور الآن ، وصاحبها اسمه (أمير القهوجية) .. وهو يحب أن يتأدى بهذا اللقب .. وعند دخولنا نحياه بهذا اللقب ونقدم له فروض الطاعة فلا يلبث أن يأمر بأن تكون طلباتنا على حسابه الخاص .. وكان البادكوك يأتي دائماً بعدنا ..

و ذات يوم طالت غيبته ونحن في قهوة البلدية .. وأخيراً وصل وهو يلهث ، وأخبرنا أن السيد عمر عقيل اعترض طريقه في الجودرية وآذاه .. فسحبه إلى مركز المعلاة واشتكاه وتركه محجوزاً هناك .. وبعد قليل أقبل علينا السيد عمر عقيل وهو يترنم . فقد كان ضابط مركز المعلاة صديقه وعملوا (نمرة) على البادكوك وتظاهر

الضابط بحجز عمر عقيل ولكنه تركه بعد خروج البادكوك .. هذا وقد
تاب بعدها عمر عقيل ولم يطرق باباً قط للبادكوك ..

وفي تلك الأيام تم اختراع (البريد المكبوس) .. وهو اختراع
نقدمه لإخواننا الذين يحضرون مؤتمرات البريد الدولية ليفاخروا به ..
الكتاب العادي بقرش وربع ، ولكنه إذا كان منقوشاً يشك مأمور البريد
ويزنه ويطلب أجراً زائداً فكيف يمكن إزالة الك من مأمور البريد
ونجعله يأخذ الكتاب على أنه وزن عادي . ؟ قام البادكوك بهذا الاختراع
العجيب .. يكتب الكتب وجميعها منقوشة وثقيلة ثم يبدأ بعد الظهر
في عملية الكبس .. يضع الكتب تحت مقعدة قطنية ويجلس هو على
المقعدة ثم يبدأ المنظر النادر ، فترى البادكوك يتحرك يمينا وشمالا ، وإلى
الأمام وإلى الخلف ، وبعد نصف ساعة تخرج الكتب في منتهى الخفة
والرشاقة ..

وهكذا أمكننا أن نوجد إلى جانب البريد الجوي والبريد البري
والبريد البحري اختراعا جديداً في عالم البريد أطلقنا عليه اسم « البريد
المكبوس » ..

الكتاب الثاني

كنا قد بلغنا مبلغ الرجال - أو هكذا خيل إلينا - ونحن في السنة الأخيرة بمدرسة تحضير البعثات .. ومع ذلك فقد كنا لا نكاد ننصرف من المدرسة حتى نبدأ فصلاً جديداً من فصول الشقاوة .. كان السيد أحمد شطا يودعنا يومياً بوابل من الحجارة ، فالمدرسة في القلعة وهو ساكن بجوارها ونحن نضطر للنزول فيتحصن هو بالجبل وتبدأ عملية قذف الحجارة علينا ونحن نجرى بمشاحنا وعقلنا ونصطدم بالمارة في الطرقات .. وابتدعنا أيامها بدعة هد الشطايف متجاهلين الحكمة القائلة : (قطع الرأس ولا هد العمام) .. فنضطر للجري والتسابق ، إما للحد من هد الشطايف ، أو للانتقام ورؤوسنا مكشوفة ومشاحنا وشطايفنا في أيدينا .. وحدث مرة أن كانت عائلة خطيبتي - وكنت قد خطبت - في زيارة لبیت في القلعة وتفرجت مع عائلتها على الخطيب المحترم وهو يجرى مع العمالقة حاسر الرأس وملابس في يده وهو الذي يتظاهر دائماً بالأدب والتعقل وكانت ورطة .

وكنا في السنة النهائية نأخذ درساً ليلياً إضافياً في علم الإحياء في المدرسة الرحمانية بالمسعى .. لأن الأستاذ أحمد سليمان رشوان كان عنده جدول كامل أثناء النهار فكان يعطينا هذا الدرس ليلاً .. وذات ليلة بكرنا في الذهاب إلى المدرسة وكانت العراق قد دخلت يومها في حرب مع الانجليز

أيام رشيد على الكيلاني، وسرت موجة حماسة للشعب الشقيق بين الناس..
وبحثنا هذا الموضوع في تلك الليلة .. وتأخر الأستاذ قليلاً .. ففكرنا
في تحويل الحماسة إلى حركة إيجابية فأطفأنا الاناريك وأخذنا نجري
إلى خارج المدرسة، فقابلنا الأستاذ رشوان صاعداً درج المدرسة فانزعج
من هذا الطابور المبرطع ، فأخبرناه أننا أعلننا الحرب خلاص ، فزاد
انزعاجه وارتج عليه ولم يتكلم ، وواصلنا جرينا وهو يصب علينا وابلاً
من الشتائم بعد أن عاد إلى وعيه .. ومشيت مع حسن شطا وعلوى
جفري . فقابلنا الهرساني عند باب النبي مع زميل آخر فسالنا عن سبب
خروجنا فأخبرناه أننا نتمشى لإضاعة الوقت ، وأنا عائدون إلى
المدرسة، وفعلاً سبقناه في اتجاهها .. وبدلاً من أن ندخل إلى المدرسة
أخذنا نجري من زقاق البيض إلى القشاشية والناس يتعجبون من
هؤلاء الشحوط الراكضين ، وعدنا إلى المسعى لنقابل الهرساني من
جديد ، وكان قد ذهب إلى المدرسة ووجد الأنوار مطفأة - والأرض
قفرة والمزار بعيد - .. فواجهنا غاضباً وقال : (خلاص أنا فقدت
الثقة فيكم) وظللنا مدة كبيرة نتندر بهذه الثقة المفقودة حتى أذن الله لها
أن تعود وأن نحظى بها مرة أخرى .



أحببت التدريس .. ولكن الله سلم

كنت وأنا طالب أتمنى أن أصبح مدرساً . ولعل هذا شعور يساور الكثيرين من الطلبة . ويعمل الناس ذلك بالنظرة التي ينظر بها التلاميذ إلى المدرس .. إنه مثلهم الأعلى فهم يقلدون حركاته وحديثه . ولكنني أعلل هذا الشعور بالرغبة في الانتقام فالمدرس رجل قاس لا يرحم في الواجبات وقد يضرب تلاميذه ، ولذلك يرغب هؤلاء التلاميذ في الانتقام من تلاميذ آخرين قد يكون من بينهم أبناء مدرسيهم .

وقد أتيت لي فرصة التدريس ثلاث مرات .. كانت المرة الأولى لفترة قصيرة في مدرسة الفلاح بجدة في إحدى أجازاتي الصيفية .. ودرست في تلك الفترة العلوم الرياضية ، وكنت من المتفوقين فيها ، كما درست قواعد اللغة العربية ولي إلمام كبير بها ..

وأذكر أنه كان من ضمن المواد التي أسند إلي التدريس فيها مادة مسك الدفاتر التجارية .. ولكنني اعتقدت عنها ، لأنني كنت قد نسيتها وليس لدي مرجع أو دفتر قديم أقتبس منه .

وكانت المرة الثانية بعد انتهائنا من الدراسة في مدرسة تحضير البعثات فقد تأخرنا سنة عن الابتعاث بسبب الحرب العالمية الثانية وكلفوني أنا وبعض الزملاء بالتدريس في مدرسة تحضير البعثات لعدم إمكان استقدام مدرسين من مصر وكنت أدرس الرياضيات واللغة الانجليزية وكان

راتب كل واحد منا أربعين ريالاً بالتام وتأخر الراتب وكنت أقيم عند أقاربي بمكة . وشعرت بالغضاضة في الاستمرار في الإقامة عندهم بحاناً بعد أن أصبحت موظفاً ، فقدمت لمدير المدرسة السيد أحمد العربي خطاباً اعتذرفيه عن تدريس السنة السادسة الابتدائية ، ووضعت الخطاب أمامه على المكتب ؛ ولم أناوله له مناولة ، وكان ذلك عن غير قصد مني . فنضب وألقى على درسا في الأدب وألقى بكتابي على الأرض ظناً منه أنني تعمدت وضع الخطاب على المكتب . . وهربت بعدها إلى جدة وتعللت بالمرض ، ثم عملت مدرساً بمدرسة العلاج بجدة لبضعة أشهر درست خلالها العلوم الرياضية .

كانت أياماً سعيدة . وكان لي تلاميذ أعز بصدقاتهم ومنهم من يحتل الآن مراكز مرموقة في معظم الوزارات . وقد يذكرني بعضهم بذكريات التلمذة ولكن أتجاهل ذلك نثلاً لظن الناس أنني قد بلغت من العمر عتياً . لقد حققت أمنيتي لفترة قصيرة وعندما كنت أكتب في الجرائد فيما بعد أو أذيع في الإذاعة كنت أقمص شخصية المدرس وكان يلذ لي ذلك .

ترى لو استمر عهدي بالتدريس أين كنت سأصبح الآن . ؟ وهل كنت سأحتفظ بشبابي وقواي العقلية .. ؟

إن مهنة التدريس لذيدة والمدرس يشعر بسعادة غامرة وهو يقدم إنتاج عقله لبناء جيل جديد ؛ ويحس بالسرور وهو يلتقي بتلاميذه على مر الأيام .

قد يكون .. وقد يكون

إنها ذكريات متفرقة أختتم بها ذكرياتي في مدرسة تحضير البعثات ..
على أن أبدأ في نشر ذكرياتي عن حياتنا في مصر ابتداء من الثلاثاء
القادم .. وستكون ذكريات حافلة مليئة بالطريف والعجيب ..

كانت دار البعثات في مكة في وقت من الأوقات في قلعة جبل هندي
وكان يشترك معنا في الدار المعهد العلمي السعودي والسنة السادسة
الابتدائية .. وكان الأستاذ السيد أحمد العربي مديراً لهذه المدارس
جميعاً .. قدمت في ذلك الوقت مشروع [اتحاد المعهدين] وكانت دائماً
بيننا وبين المعهد منافسة في الرياضة البدنية وفي النشاط الاجتماعي بصيغة
عامه ، فكان مشروع اتحاد المعهدين يجمعنا جميعاً في نشاط اجتماعي أدبي
رياضي واحداً .. وقد تحققت الفكرة وأصبح نشاطنا موحداً .

وبمناسبة القلعة أذكر أنني تركت القسم الداخلي بعد انتقالنا
إلى القلعة - وكان مراقب القسم الداخلي الرجل الطيب الشيخ أسعد مامو -
ودخل علينا يوماً وأسعد جمجوم ينشد :

يا عم أسعد مامو المدح فيك حرام
وحالا غير أسعد جمجوم النشيد عند قدوم الشيخ أسعد فأصبح :

يا عم أسعد مامو الدم فيك حرام
وتخلصنا من هذه الورطة ..

وقد كنت أول الناجحين في البكالوريا وفي التوجيهية وعند نجاحنا في البكالوريا أقيم حفل كبير في المدرسة شرفه سمو الأمير فيصل وألقى زميلي السيد حسن شطا قصيدة نيابة عنى نالت الاستحسان وقتها .. وخرجت من الحفلة محملاً بالهدايا: والكتب يحملها إثنان من التكرانه.. وفي تلك الحفلة ألقى الأستاذ الغزاوي قصيدة جميلة يقول في مطلعها عن الطالب :

فجره ثم ضحاه ناشيء بهوى الحياة
حالف السهد طويلا فتشكى ناظراه الخ
وبعد الحفلة دعانا السيد علوى جفرى إلى [قبيلة] فى أرضه بحداء
وخرجنا مشوقين لرؤية هذه الأرض .. فقد كان علوى كلما جاء ذكر
نبات أو زهرة فى علم النبات يقول لنا : هذه موجودة عندنا فى البلاد ..
ولكننا لم نجد فى بلاده إلا أرضاً قفراء فأنشدت قصيدة طويلة معارضاً
قصيدة الغزاوي قلت فيها :

يومنا	هذا	جميل	وجميل	منتهاه
فى	بلاد	كال	علوى	من ثناه
رحت	ففى	فكأنى	وسط	صحراء فلاه

إلى أن قلت :

إنه	قول	صحيح	قولهم	فما	أراه
من رأى	رأى	طويل	خب	الله	رجاه

ولن أختتم هذه الحلقة من الذكريات قبل أن أنوه بجهود

الأستاذ عمر نصيف معتمد المعارف السابق بجدة في سبيل أبناء البعثات..
كان يرحلنا ويستقبلنا ويقضى لنا حتى المصالح الخاصة . وننعم عنده
دائماً بالضيافة العامرة . . وفي أول إلتحاقنا بمدرسة البعثات كنا نراجع
للسفر إلى مكة والأمر لم يصل بعد للبريد لإركابنا فنسأله [هل نسافر
غداً] ويجيبنا بجوابه التقليدي [قد يكون وقد لا يكون] وهكذا
ذهبت مثلاً نذكره كلما ذكرنا الأستاذ عمر نصيف .





بسم الله بحر لها ومرساها

أعلن عن عزم الحكومة ابتعاثنا وقنابل الألمان تقرب
من الإسكندرية قبل معركة العلين ، وطائراتهم تتردد على القاهرة
والإسكندرية .. خزمتنا أمتعتنا ، وكنت وقتها مدرساً بمدرسة النلاح
بجدة وفي حاجة للبقاء في الوظيفة ولذلك تركتها مكرهاً لئلا يعتقد الناس:
أني أحرق .. وأقامت مديرية المعارف العامة حفلاً لتوديعنا في جدة
شده قائمقام جدة وكبار الموظفين والوجهاء . وودعنا مديرنا السيد أحمد
العربي بقصيدة جميلة يقول في مطلعها مخاطباً الباخرة التي ستقلنا :

خفي السير يافتاة البحار وارفق يافتاة السفار
انما تحملين آمال شعب
وقد ألقيت يومها قصيدة قلت في مطلعها :

جلال اليوم بل يوم الجلال أثار معاني الشعر الغوالي
وقلت في ختامها :

وأنتم سادتي شرفتمونا بحفل ضم أسباب الجمال
سنذرف في وداعكم دموعاً تفيض جوى بأطراف القنال
ونذكر فضلكم في كل حين وحين تحوطينا قم التلال (١)
وهاكم عهدنا هذا بأنا سنبدل كل مرتخص وغال

(١) تلال المنظم .

سنمضى سبيل العالم جمعاً ونقتضى فى دراسته الليالى
.. ونخلص كلنا عند المآل

فأما أننا مضينا فى سبيل العلم وقضينا الليالى فى دراسة ، فهذا نترك
الحكم فيه للقارىء بعد أن يطالع على ما فى المذكرات ويعرف كيف
قضينا الليالى ؛ وأما اخلاصنا عند المآل فذلك ما نرجوا أن نوفق فيه ؛
وأما الدموع التى تفيض على أطراف القنال فايتهما كانت حقيقة وأغرقت
من وقتها شركة القنال المنحلة وكفتنا مشا كل القنال وما بعد القنال ،
ولكن الحقيقة أن هذه الدموع كانت كذب الشعر ومبالغته فقد تحولت
بقدره قادر إلى أفراح وزغاريد ترددت فى جنبات الباخرة التى حماتنا ،
وإلى اللقاء فى الذكرى القادمة يوم الجمعة لنتتبع هذه الرحلة الطريفة
ونتمتع معاً بهذه الزغاريد والأفراح .



رحلة في الظلام

جمعنا السيد طاهر الدباغ قبل بدء الرحلة وكنا في جدة ننتظر الباخرة عدة أيام وبسبب ظروف الحرب لم نعرف تاريخ وصولها إلا قبل الوصول بليلة وقال لنا السيد طاهر : إن السنة أنه إذا كان هناك جماعة في سفر فعليهم أن يؤمروا أحدهم ، وأنه اختار علوى جفرى ليكون أميرنا في الرحلة .

وقد تأثرت في نفسى فقد كنت أول البعثة ولكن صغر سنى حال بينى وبين هذه الأمانة ومع ذلك فقد كانت هذه الأمانة عبئاً مع الثلة الكريمة .. فقد لقي أمير الرحلة الكثير من العنت والتريقة وكنا نترقب يوم وصولنا إلى السويس لتنتهى هذه الأمانة .. وكانت الباخرة تسير في ظلام دامس بسبب الحرب .. وكان يحدث ونحن نقضى الوقت في لعب ومرح أثناء النهار وأحياناً أثناء الليل أن تدوى صفارة الإنذار ويتجارى البحارة ونجربى نحن لنلبس أحزمة النجاة ثم يظهر لنا أن المسألة مناورة لتدريب البحارة والركاب على التصرف السريع أثناء الخطر .. وكان الهرسانى أكثرنا خوفاً فكنا نومه بمحدث الغارات ونجربى في الطرقات فيندفع ويلبس حزام النجاة حتى قرر أخيراً أن يلبس هذا الحزام ليلاً ونهاراً وكان منظره عجيباً وهو بالحزام وشفته تلتوان جميع ما حفظه من الأدعية والأوراد .. وكانت الباخرة تحوى دورات مياه أفرنجية لم نرها من قبل وكان تصرفنا فيها مثيراً للضحك ونحن نستعملها

لأول مرة . وعقدنا أوامر الصداقة مع ضباط الباخرة وقائدها فزرتنا
جميع أقسامها واستمعنا إلى شرحهم لآلاتها وطريقة سيرها . . . وكان
على الباخرة الشيخ أحمد طلبة صقر الواعظ المصري فقضينا معه أياماً
جميلة وهو رجل حلو الحديث واسع الاطلاع . . . وأخيراً ألفت الباخرة
مراسيها في ميناء السويس لنجد في استقبالنا أستاذنا الفاضل السيد ولي
الدين أسعد مراقب البعثة وقد استقبلنا استقبالا يليق بالمقام ويشبه
إلى حد كبير استقبال الحجاج بن يوسف لأهالي العراق وهذا هو
موضوع الذكرى القادمة . وإلى اللقاء .





الليلة الأولى في مصر

وصلنا في المساء إلى السويس ، وأخذنا السيد ولى الدين أسعد إلى فندق الحميدية المطل على محطة السكة الحديد ، وقضينا الليلة مع مضيف جديد تعرفنا عليه لأول مرة وهو البق ..

لم نتم طوال الليل وكنا نتسلى بالضحك والمرح ما عدا السيد حسن شطا الذى كانت تبدو عليه دلائل النزاع ولم يشأ أن يخبرنا عن سبب فزعه إلا فى الصباح عندما سألنا [ألم تسمع صوت المجنون الذى يصبح طوال الليل] ولما أخبرناه بالتفى تعجب ، وأخيراً فهمنا من مجرى الحديث أنه يقصد صفير القطارات .. وكان كلما صفر قطار ظنه مجنوناً يصبح فزاد فزعه واضطرابه .

وفى الصباح أقلنا القطار إلى القاهرة .. ودوت الزغاريد فى محطة مصر مرحبة [بمشائخ العرب] الذين أتوا بالجملة ونحن فى دهشة من كل ما تقع عليه عيوننا من مناظر ..

وأخيراً وصلنا إلى الدار المؤجرة لنا فى حي عابدين .. وبعد العصر ذهبنا مع السيد ولى الدين إلى محلات أفيرينو حيث اشترينا بدلاً جاهزة ولم نخرج إلا ونحن نرتدى الملابس الجديدة ، وأصر السيد ولى الدين على أن نلبس الطرابيش استكمالاً للحشمة والوقار ، وظللنا سنة كاملة نلبس الطرابيش ولا نستطيع الخروج من دار البعثة بغيرها ، وإلا تعرضنا للخصم من رواتبنا المتواضعة .. وأراد السيد ولى الدين

أن يرينا العين الحمراء من البداية ، فألقى فينا خطاباً ضمنه كثيراً من
النصائح ، وختمه بجملة التقليدية الحجاجية [والله لأحزم منكم حزم السلة
ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل] وكنا فعلاً نخافه ونحترمه حتى زال
الخوف تدريجياً ، وبدأنا في عمل المقالب التي احتار في القضاء عليها ،
ولهذه المقالب قصة أو قصص سوف نقدمها تباعاً في هذه المذكرات .
وبعد المغرب فكرنا في التنزه والترويح عن النفس فذهبنا إلى أحد
أماكن النزهة جميعاً وكنا خمسة عشر لا نفرق أبداً ، ولكن قصتنا
ونحن ندخل مكان النزهة طريفة تستحق أن نفردها المذكورة التالية من
هذه المذكرات .



مثلت دور العبيط

منذ بدأت رحلتنا من جدة حتى وصلنا إلى القاهرة ، كنا نسردها
أسماءنا في كل مناسبة : عند موظفي الجوازات والحجر الصحي وموظفي
الباخرة والفندق إلخ .. ولذلك عندما خرجنا في أول ليلة لوصولنا إلى
القاهرة نطلب النزهة وذهبنا إلى إحدى دور النزهة العامة في حي السيدة
زينب وجدنا عند مدخل الدار شباك التذاكر والعامل جالس خلفه
لأخذ النقود ، فأردت أن أظهر النباهة وسرعة الخاطر ، فتقدمت
الزملاء وطلبت من الرجل خمس عشرة تذكرة ، وبدأت أملئ عليه
الأسماء ليعطينا التذاكر بموجها .. وحمل الرجل في وجهي تارة ، ثم
في طربوشى وبدلت تارة أخرى ، وكان الزى الأفرنجى لم يزل غريباً
على جسمي ، ولا بد أن ربطته العنق كانت توحى بأنى غريب على البلد
وعلى الملابس الأفرنجية وعلى دور النزهة . ثم انفجر الرجل ضاحكاً
وانفجر الزملاء خلفي يضحكون إظهاراً لشعورهم السكريم نحو هذه
العبادة التاريخية .

وفي ليلة تاليه ذهبت مع شرف كاظم مبكرين لحجز الأماكن لنا
وللزملاء وكنا قبل أن نختار الدار التي سنتنزه فيها نبحث عن أقرب مسجد
إليها لأداء الفريضة .. وحجزنا الأماكن ثم ذهبنا لصلاة المغرب
في مسجد قريب في شارع عماد الدين - وعلى فكرة - كان السيد ولي الدين
يسميه شارع - هدم الدين - وعند عودتنا أخطأنا الطريق وأخذنا نتخبط

في الشوارع وكلها متشابهة على الغريب وأخيراً وصلنا راكضين لنجد
العرض قد بدأ ولنجد إخواننا على باب الدار يمطروننا بوابل من الشتائم
المنتقاة من حارة أسفل

ثم بدأنا نستعد لدخول الجامعة وما أدراك ما الجامعة .. وهذا
موضوع الذكرى القادمة إن شاء الله .

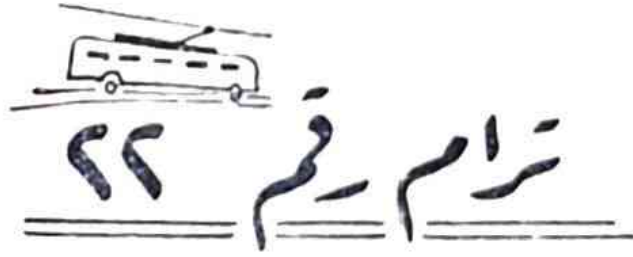


على أبواب الجامعة

كان بمجموعى يؤهلنى لدخول كلية الطب وفعلا قدم إسمى لهذه الكلية وإن كان راودنى شعور بالرغبة فى الدخول فى كلية الآداب ولكنى تغلبت أخيراً على هذا الشعور ، وكان السيد ولى الدين يأخذنا ويدور بنا على الكليات وأخذت بعض الكليات تعتذر لوصولنا بعد شهر من ابتداء الدراسة وللخوف من ضعف مستوانا : فعميد كلية التجارة لم يقبل زملاءنا فى الكلية إلا بعد جهود جبارة من السيد ولى الدين ومع ذلك كان زملاءنا دائماً فى مقدمة الناجحين رغم أنهم كانوا لا يعرفون اللغة الفرنسية ، ودرسوا مقرر الثانوى والسنة الأولى الجامعية فى بضعة شهور .. ووصلنا قبل أن يصل التحويل للسيد ولى الدين ولم يكن فى الإمكان دخول كلية الطب إلا بعد دفع المصاريف الدراسية مقدما ولم تكن عندى نقود تكفى لذلك ، وعرض على بعض الزملاء المساعدة فأبيت شاكراً حتى وصل التحويل للسيد ولى الدين ودفع لى المصاريف .. وبقيت مشكلة البادكوك .. رغب فى دخول كلية الطب .. وكان العدد المسموح لغاية ثلاثة فقط فقدم له السيد ولى الدين فى كلية الزراعة .. فشق ذلك على البادكوك .. لقد كانت أمنيته وهو فى الثانوى أن يتعلم الصيدلة ويفتح صيدلية فى شارع فيصل بجدة ويتضارب كل يوم مع سعيد تمر بزجاجات حامض الكبريتيك ..

لأنه يرى أمنيته تتبخر .. وأتى المرحوم خاله يتوسط دون جدوى ..
وقد وعدنا خاله بأكله ديك رومي ظل — رحمه الله — يتملص منها
حتى توفي .. وكان كلما جاء إلى البعثة نلتف حوله ونرحب به ونتحدث
عن فوائد الديك الرومي . ولكن آمالنا تبخرت كما تبخرت آمال
البادكوك في كلية الطب . وأخيراً دخل الزراعة مكرها .. ترى لو عادت
به الأيام إلى الوراء فهل يختار بديلاً بالزراعة وفوائدها الجمّة وثمرتها
اللطيفة في كازينو كيلو عشرة ؟ .





ترام رقم ٢٢

كان هذا الترام هو وسيلتنا الوحيدة للوصول إلى إعدادى الطب بكلية العلوم بالعباسية نصف أيام الأسبوع . وهو ترام يمر من المذبح إلى العباسية ، وكان مزدجماً دائماً بالجزارين والعمال الذين كانوا يعملون في الورش الإنجليزية بالعباسية وكنا نبكر في الذهاب إلى الكلية لحجز الأماكن في الصفوف الأولى فلا نجد مكاناً في الترام إلا على السلم وفي الشتاء كنا نلاقى كثيراً وتمكاد أيدينا تتجمد ونحن نتمسك الحديد ولم يكن في الامكان استئجار تاكسي أو الركوب في الدرجة الأولى . . . وفوق ذلك أصبنا جميعاً بالكحة عند وصولنا إلى مصر . كنا نلبس الملابس الصوفية لأول مرة ونتعرض للشمس فتبدأ الكحة ونبدأ في خلع ملابسنا في الشوارع العامة وكان منظرنا مشيراً للضحك ولكننا كنا مضطرين لشدة إصابتنا بالكحة مما يضطرنا لنزع ملابسنا الصوفية .

وقد سبق أحدها زملاءه إلى الكلية ويحجز لهم الأماكن فنستدل على مكانه في المدرج بطربوشه فقد كان الخروج من دارنا بدون طربوش يعرضنا للخصم من رواتبنا . وكنا الوحيدين بين الطلبة تقريباً الذين نلبس الطرايش . وكنا نتناول وجبة الغذاء في الكلية بقرشين أو ثلاثة على قدر الحال فقد كان راتبنا الشهري من البعثة جنيهاً ونصف جنيه مصري بالوفاء والتمام وكنا نذهب في نصف الأسبوع إلى كلية

العلوم بالجيزة لأخذ دروس الطبيعة والكيمياء وهكذا كانت سنتنا الأولى في مصر غير مستقرة ونعود إلى البيت يومياً مع الغروب لنستأنف المذاكرة حتى بعد منتصف الليل وكثيراً ما كان السيد ولي الدين يأتى إلى غرفتنا ويجبرنا على إنهاء المذاكرة والنوم راحة لأجسامنا ورحمة بنا من كثرة الإرهاق ..

لقد كانت سنة مليئة بالعرق والدموع ومع ذلك فقد نجحنا جميعاً فيها رغم تأخرنا عن بدء الدراسة ورغم غربتنا ومشاكلنا البيئية . فقد كانت إعدادى الطب ولا تزال من أصعب سنوات الدراسة ولكن الله كتب لنا النجاح فيها والحمد لله .



السلف والخلف

أما السلف فهو بكل تواضع وحياء وخجل الداعى وزملاؤه أعضاء أول بعثة أرسلت إلى مصر من مدرسة تحضير البعثات .. كنا محافظين جداً على كل شيء .. الصلاة في أوقاتها جماعة بدار البعثة ولم يكن أحد منا يتخلف عن الصلاة خوفاً من خصم الراتب كما اتبع السيد ولى الدين مع البعثات اللاحقة .. والطربوش كان من المستحيل أن تغادر الدار بدونه في الكلية وفي الأسواق وفي المنزهات .. وكانت النزهة المفضلة عند السيد ولى الدين التى ينصحنا بها دائماً هى أن نذهب إلى كوبرى قصر النيل القريب من دارنا ونقضى فيه المساء لنستنشق هواء البحر الأبيض المتوسط حتى لم نبق بقية من هذا الهواء لغيرنا .. وكنا لا نخرج إلا جماعات وكثيراً ما كنا نشاهد مجموعة واحدة : وكنا إذ سمعنا عن منزه جديد أو دار جديد ، للفسحة لا يسمح لنا السيد ولى الدين إلا بعد أن يصحبنا إليها فى أول مرة فإن وجدناها تتمشى مع الفضائل والأخلاق سمح لنا بها فيما بعد . وكنا لا نتأخر خارج الدار فى المساء إلا ليلة الجمعة فقط حيث نتأخر حتى الساعة التاسعة والنصف أفرنجى ونعود لنجد السيد ولى الدين فى الدار يسجل حضورنا ولا أذكر أننا تأخرنا عن هذا الموعد قط طيلة عام كامل إلا مرتين تعرضنا فيها للتحقيق والتهديد بالخصم ثم تبنا .. وكان من الأيام المحرم علينا فيها الخروج من البعثة يوم شم النسيم لأنه يوم تنتحر فيه الفضيلة على رأى السيد ولى الدين وهو يوم لا يبقى فيه إنسان فى داره فى مصر ..

إن السيد ولي الدين مجموعة فضائل وأخلاق ويحرص على التربية الدينية العربية ومن حسن الصدف أنى أصل إلى هذه الحلقة من المذكرات فى الوقت الذى تلقيت فيه نشرة منه عن مدارس منيل الروضة التى يشرف عليها والتى تعد من أرقى المدارس الخاصة فى مصر من حيث منهاج الدراسة فضلاً عن التربية الدينية العربية التى يختص بها طلابها .

هذا ما كان من أمر السلف ثم جاءت البعثة الثانية أو على الأصح جاء الخلف - بسكون اللام - وبدأت حياتنا فى البعثة تدخل فى طور جديد .. ويكفى أن تعرف أن من طلاب البعثة الثانية أسعد جمجوم وعبد الله مراد وحسين العطاس لتعرف مقدار التطور الجديد .. ولعل الحادث الذى نزويه فى العدد القادم يعتبر نقطة التحول فى تاريخنا فى البعثة .



على عربيت كارو

وصل أعضاء البعثة الثانية واستقبلناهم مرحبين وأخذنا نسمع منهم أخبار الوطن فقد كنا في شوق إليه طيلة عام كامل . . كانت الحرب في العالمين والمواصلات بيننا وبين المملكة بطيئة جداً وهي محصورة في المواصلات البحرية في ذلك الوقت . وذهبنا مع الزملاء والسيد ولي الدين إلى محلات أفرينو وأخذنا نلبسهم البدل الجاهزة ونعلمهم ربط ربطة العنق ثم وضعنا الطرايش على رؤوسهم حسب النظام المتبع في البعثة . . وفي مساء يوم وصولهم أحبوا أن يزوروا معالم القاهرة ويتفقدوا وكان رائدنا في ذلك المساء أسعد جمجوم فماذا يفعل ؟ قال لهم أن المشى متعب والمسافة بعيدة وكان قد سبقهم بأيام وعرف أشياء كثيرة عن البلد واستدعى عربية كارو من التي يركب عليها النساء البلديات في القاهرة وأركب الزملاء المحترمين ببدلهم الأنيقة وطرايشهم المحترمة . . فكنت ترى المشايخ : بابصير وصالح جمال وحسن فقيها وعبد الله مراد وعبد القادر كعكي يتربعون على العربية الكارو ومعهم بالطبع أسعد جمجوم لئلا ينفضح المقلب . . وأخذ يتجول بهم في شوارع القاهرة والناس في عجب من هذا المنظر الطرايشي وهم لا يعلمون سر تعجب الناس . شيء واحد ألوم أسعد عليه وهو أنه لم يأخذ صورة فوتوغرافية لهذه المجموعة العجيبة على العربية الكارو لأن هذه الصورة لو ظهرت مع هذه الذكرى لكانت رائعة . حقاً لقد كان هذا الحادث نقطة التحول في تاريخ البعثة . . لقد انقلب البيت الهاديء الوديعة إلى مكان صاحب مليء بالمقالب والحركة كما ستري في الذكريات التالية .

الكمسارى انتكروا

لقد مرت بنا مع الكمسارية فى مصر طرائف كثيرة تستحق أن نفردها لها هذه المذكرة وهذه الطرائف تشمل بطبيعة الحال فن التزيين من دفع التذاكر وقد برعنا فى هذا الفن إلى حد كبير وكان من بين أصدقائنا كمسارى ترام أزهرى ويحمل شهادة الأزهر ويحفظ كثيراً من الشعر والأقوال المأثورة كنا نلقد معه ندوة أدبية متنقلة .. وكانت محطة الأتوبيس المجاورة لدار البعثة اسمها - المنيل - وكان أحد زملائنا يصير على تسميتها - بالمنيل - بالباء المشددة وقتاً طويلاً .. وبجوارنا محطة ترام اسمها محطة [دير النحاس] وجاء يوماً شرف كاظم يشكو من غباء الكمسارى لأنه طلب منه النزول عند محطة [زير النحاس] فلم يفهم فانفجر رشيد رضوان ضاحكاً لأن شرف قليل الفهم ولم يعرف أن هذه المحطة اسمها [بير النحاس] . وهكذا تحور اسم هذه المحطة كل هذه التحورات . والكمسارية الغلابة مختارون بيننا .. والبادكوك قصة طريفة مع كمسارى ترام ومع عمدة كان راكباً فى الترام فأما قصته مع الكمسارى فهى التى سأذكرها فيما يلى وأما قصته مع العمدة فأنا على استعداد لروايتها شفها لمن يطلبها .. وعلى فكرة البادكوك المذكور فى هذه المذكرات هو الأستاذ محمد بادكوك مدير فرع الزراعة بجدة وليس بادكوك الخارجية وأنا أذكر هذا التصحيح بناء على طلب الصديق ... والقصة مع الكمسارى حدثت بعد وصولنا إلى مصر ونحن نسكن حى عابدين ..

خرجنا نريد الجامعة في الجيزة وعندما وصل الترام تهباً البادكوك للصعود فوضع شنتطته في الترام واستعد للركوب ولكن الكمسارى نفخ زمارته ومشى الترام بالشنتطة والبادكوك يجرى خاف الترام ويصيح [استنى يا عمى] والكمسارى ينفخ زمارته ويضحك والناس يضحكون حتى وقف الترام ووصل البادكوك وأنفاسه متقطعة وما أن استقر على المقعد وجفف عرقه حتى انفجر ضاحكاً واستمر الضحك في الترام حتى وصلنا.

وقصة أخيرة مع الكمسارية . . وصل سليمان سلامة إلى مصر وكان الرصى عليه ابن عمته أسعد جمجوم [آخر زمن] فأخذه في القطار إلى الإسكندرية لإحاقه بكلية فكتوريا وأخذ أسعد تذكرة ونصف لهما وكان سليمان طويلاً وكان لا يزال خجولاً . . ومشى بهما القطار وأقبل الكمسارى يسأل عن التذاكر وسأل عن صاحب نصف التذكرة فأشار أسعد إلى سليمان فطلب الكمسارى من سليمان الوقوف فوقف وأنظار الناس تتطلع إليه والكمسارى يقول [شوفو يا افندية كل دا نصف راكب] والعرق يتصبب من سليمان وأسعد يضحك ثم دفعوا فرق التذكرة والغرامة وسليمان يلعن الوصية والوصى المحترم .

تشكيل العصاة

اعتاد بعض زملائنا في البعثة أن تصل إليهم من أهاليهم مواد غذائية يرونهم بها بينما كان البعض الآخر محرومين والمساواة كانت واجبة ونحن نعيش في بيئته واحدة . وكانت الصراصير لا تنقطع عن دار البعثة وبعد البحث عن السبب وجد أن المواد الغذائية المخزنة في دواليب بعض الزملاء من أهم العوامل في تكاثر الصراصير . . كل هذه العوامل أوحى إلى حسين العطاس وأسعد هجوم بتشكيل العصاة في البعثة . . وهكذا كانت أهدافها النبيلة تنحصر فيما يلي :

١ - المساواة بين الزملاء .

٢ - مكافحة الصراصير .

٣ - عمل المقالب الطريفة للترفيه عن طلاب البعثة .

وقد ساعد السيد ولي الدين أسعد مراقب البعثة على بعث هذه العصاة من حيث لا يشعر وإن كان قد عانى منها ومن مكافحتها الشيء الكثير . . فقد أخبرنا ذات مرة أن البعثة الأولى التي كان أحد طلابها انقطعت مواردها مرة وعانى طلابها إفلاساً شديداً وكان السيد محمد شطا من أحرص أعضائها فكان يدخر فنجد عنده الجبن والزيتون والحلويات والمواد الغذائية المختلفة فكان السيد ولي الدين وزملاؤه الآخرون يهاجمون السيد محمد في داره ويستولون على ما عنده من مدخرات . وقد التحقت أنا بالعصاة بعد أن عرفت أهدافها النبيلة وسوف

تحتل ذكريات العصابة مكاناً كبيراً من هذه المذكرات كما انضم
إلى العصابة عدد طيب من الزملاء سوف ترد أسماؤهم في هذه المذكرات
حسب المناسبات .

وكان السيد أحمد شطا من أكبر مقاومي العصابة حتى سميناه
في بياناتنا التي كنا نصدرها ونعلقها خفية في المناسبات باسم [مدير الأمن
العام] . . ولم يتمكن أحد من كشف أسرار العصابة وخططها أبداً . .
كان نصيبي المتواضع الاشتراك في وضع الخطط أو تهذيب الخطط
بحيث لا تحدث ثغرات ولا تنكشف الأفعال وكان أسعد مجموع
هو الرئيس الأعلى للعصابة وكنا نعقد سنوياً اجتماعاً يحضره جميع البعثة
ويلقى بياناً عن أعمال العصابة يستهله بالعبارة المأثورة [حضرات
الاصوص . . حضرات الذشالين] على وزن [حضرات الشيوخ . .
حضرات النواب] .

أما حوادث هذه العصابة فأكثر من أن تحصى ولكن سوف
أذكر في الحلقات القادمة الحوادث البارزة والأعمال الإنسانية النبيلة
التي قامت بها هذه العصابة الجليلة .

أول إذاعة سعودية

تصدر هذه الذكرى في أيام افتتاح المرسلات الجديدة للإذاعة ليعرف الناس أن أول إذاعة سعودية انبثقت من دار البعثة السعودية بالقاهرة منذ ثلاثة عشر عاماً ولم يكن اللاسلكي هو الذي ينقلها بل سلك صغير لا يتجاوز بضعة أمتار وبعدها انطلق المذيع بأول صيحة من [هنا مكة المكرمة] .. فكيف حدث ذلك ؟ .

أحضر أسعد جمجوم إلى دار البعثة جهاز إرسال صغيراً ، وضعناه في غرفة في الدور الثالث ووصلناه خفية بسلك صغير إلى جهاز راديو في الدور الثاني وكنا حوالى خمسة نعرف السر وأذعنا بين طلاب البعثة أننا سمعنا ونحن ندير الراديو إعلاناً من راديو مكة بأنه سيفتح رسمياً في تلك الليلة وحددنا الساعة . وكان الجميع في شوق لسماع صوت يأتي من الوطن الحبيب ، وكانت المواصلات مع المملكة لا تزال صعبة بسبب ظروف الحرب العالمية الأخيرة .. وأعدنا برنامج الافتتاح وفي الساعة المحددة كان الزملاء الذين عليهم دور الإذاعة يقفون منتظرين أمام الميكروفون والبعض الآخر واقف مع طلاب البعثة الذين احتشدوا عن آخرهم لسماع أول إذاعة سعودية . وانطلق صوت المذيع يصف حفلة الاستقبال ثم قال [وهذا هو الشيخ عبد الله كاظم مدير عام البرق والبريد والتليفون يستقبل كبار المدعوين] وعند ذلك قفز شرف

كاظم واقفاً وهو يصفق فرحاً وغبطة . ثم قدم رشيد رضوان مائتير من آى الذكر الحكيم بعد أن سميناه باسم أحد المقرئين الحجازيين وتقدم بعدها حامد دمنهورى بكلمة الافتتاح وقدمناه باسم الأستاذ عبد الله عبد الجبار مدير عام الإذاعة السعودية وقد علق المرساني وهو يسمع الكلمة [بأنه صوت عبد الله عبد الجبار الذى لا ينكر!] ثم اختتمت حفلة الافتتاح وبدأت الاذاعة تقدم البرنامج المعتاد فكان من ضمنه حديث أدبي للسيد أحمد العربى وانتحل شخصيته أحد الزملاء ثم قدمنا رشيد رضوان على أنه حسن لبنى حيث قدم دوراً حجازياً والسادة المستمعون منسجمون يتأوهون يرددون [طيب يا أبو على] .

وأخيراً جاءت نشرة الأخبار ولفقنا فيها بعض ما كان يشغل الأذهان من أخبار داخلية وخارجية وكان من أهم الأخبار التى أذكرها خبر عودة الشيخ عبد الرحمن بابصيل - رحمه الله - من السودان بعد شفائه وكان أولاده سعيد وصالح يعلمان عن سفره وينتظران خبر شفائه وعودته وما إن أذاع المذيع هذا الخبر حتى فرحنا وتعانقا وأخذ الزملاء يقدمون لهما التهانى الطيبة . . وبعد الانتهاء بدأ الزملاء يعرفون السر تدريجياً من المشتركين فى الخطة ماعدا سعيد عمر وسعيد بابصيل الذين ظلا إلى وقت متأخر من الليل مرابطين بجانب الراديو يستمعون إلى نشرة الأخبار وهى تعاد وإلى صوت حسن لبنى وهو يجلس فى إرجاء البعثة .

دفتر الضبط

وكان في أيام البعثة الأولى لا نخرج إلا جماعات وذلك بطبيعتنا دون أمر من المراقب . ثم لما جاءت البعثة الثانية عمل السيد ولى الدين رواداً كنت واحداً منهم يرأسون الجماعات التي تخرج للفسحة في أعداد لا تقل ثلاثة .. ثم انتهى نظام الرواد بمرور الوقت وكان السيد ولى الدين يحتم علينا الكتابة في دفتر خاص اسم المكان الذى سنقضى فيه فسحة ليلة الجمعة ، ولم يكن يصرح لنا بالخروج إلا ليلة الجمعة . وكان يربط في دار البعثة في هذه الليلة ليسجل أوقات عودتنا ولم يكن يسمح لنا بالتأخر بعد العاشرة مساءً بالتوقيت الأفرنجى .. وفى إحدى ليالى الجمع كان السيد ولى الدين في دار البعثة يراقب خروجنا وإذا برشيد رضوان ومنصور عارف خارجان وقد لبس كل منهما ملابسه الأنيقة فسألهما السيد ولى الدين [إلى أين ؟] فقالا بسلامة نية [السكيت كات] وكانا قد رأيا إعلاناً عنه في الجريدة ولم يكونا يعرفان شيئاً بعد عن القاهرة . فانبرى لهما السيد ولى الدين [كيت كات في عينكم ، إن شاء الله أكتكت دماغكم] . وألقى عليهما محاضرة جديدة في فوائد استنشاق هواء البحر الأبيض المتوسط .. وقد استمر دفتر الضبط حتى جاء أسعد جمجوم وكان سبباً في إلغائه .. كتب فيه ذات ليلة سأذهب إلى محل كذا رواية كذا .. تمثيل كذا لإخراج كذا تصوير كذا إنتاج كذا .. وهكذا حتى ملأ صفحة كاملة من دفتر الضبط وعندما اطلع السيد ولى الدين على الدفتر أعلن خصم

خمسين قرشاً من راتب أسعد . . فسكت أسعد حتى كانت ليلة البريد
التي يسهر فيها السيد ولى الدين فى البعثة ليعد الرسائل للمعارف . . وكان
أسعد هو المكلف بصيانة كهرباء البعثة مقابل مكافأة خاصة . . أطفأ
أسعد الكهرباء فى تلك الليلة وثار السيد ولى الدين واستدعى أسعد . .
فساومه أسعد على إصلاح الكهرباء مقابل إعادة الخمسين قرشاً المخصوصة . .
وفعلوا سلم السيد ولى الدين المبلغ الذى لأسعد الذى أصلح الكهرباء فى الحال .
وهكذا كان أسعد جزاه الله خيراً أول من دق مسماراً فى نفس دفتر
الضبط ثم توالى الحوادث وانتهى هذا الدفتر إلى غير رجعة .



من صوادث العصابة

للعصابة حوادث هامة تستحق أن يفرد لكل حادثة منها فصل خاص من هذه المذكرات وهذا ما سنراه ، ولكن هناك حوادث صغيرة أذكر بعضها في هذه الحلقة كنماذج صغيرة ..

وصلت إلى محمد منصورى علبة تمر محشوة باللوز بها نحو أقتين ووصلت إلينا الأخبار فصادرناها ووجدناها لذينة جداً وجاهها سمسم .. ثم وضعناها في كل مكان أمين للتزود منها عند الحاجة وكان الوقت بعد الظهر .. وفي المساء كنا نتعشى في دار البعثة وكان الأكل في ذلك اليوم دجاجاً وهو من الأيام الهامة في البعثة .

وعند خروجنا من المطعم علمنا أن السيد ولى الدين قد بلغه الحادث وإنه سيقوم بحملة تفتيش وفي الحال صعدنا إلى مخبأ التمر وكنا خمسة ولم نترك العلبة حتى أكلنا جميع ما فيها رغم عشائنا الدسم وألقينا العلبة في الشارع .. وفتش السيد ولى الدين فلم يجد شيئاً .. وحدث بعدها أن جاءت تنكة تمر لعبد الله البغدادي ولم تكن محشوة باللوز فصادرناها وأخذنا نأكل منها ونوزع على الطلاب . وكنا نعمل ذلك في الخفاء حتى لا يرانا البغدادي .. وفي اليوم التالي علمنا أن البغدادي شكاً للسيد ولى الدين مراقب البعثة وكأنه أراد أن يشير اهتمامه فأخبره أنها تمر باللوز .. وما أن علمنا حتى أخرجنا التنكة من مخبئها وأخذنا

نأكل علنا والبغدادى لا يستطيع أن يتكلم فإنه قد شكّا عن فقد
تمر باللوز . .

وجاءت بعثة جديدة فيها هاشم طاهر وأحضر معه زنبيل بلح
زهو . . وهذا شيء نادر في مصر . . ووقفنا على الباب نرحب بالزملاء
الجدد ونراقب ما معهم في نفس الوقت فقد كانت العصاة تنشط عند
وصول قادمين جدد محملين بما لذ وطاب . . ووضع هاشم زنبيل البلح
على باب غرفة السيد ولى الدين ودخل ليسلم عليه . . وأسرع الطريقى
- وكان من الأعضاء البارزين - وأخذ الزنبيل ووضعها عند الطلاب
المصريين الذين كانوا يسكنون على سطح البعثة ولم يكونوا عرضة
للتفتيش . . وخرج هاشم ليجد الزنبيل قد طار . . فعاد إلى السيد
ولى الدين وشكا له الأمر فضحك السيد ولى الدين لأنه أدرك السر
وأراد هاشم أن يثير اهتمام السيد ولى الدين أكثر فأخبره أنه أحضر
الزنبيل هدية له . . فقال السيد ولى الدين إنه مادام الأمر كذلك فإنه
يشكره ويعتبر الزنبيل قد وصل فقد كان السيد ولى الدين يعرف من
سوابق العصاة أن لا فائدة من البحث وحرقان الدم . . وخرج هاشم
وهو غضبان لهذا الاستقبال البارد في الوقت الذى كان فيه أعضاء العصاة
يتمتعون بأكلهم الشهية على سطح البعثة . .

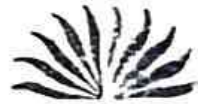
الطبايق الطائرة

كثيراً ما سمعنا عن الأطباق الطائرة وهل هي حقيقة أم خرافة .
أما طلاب البعثات الأوائل بمصر فقد كانوا يعرفون إنها حقيقة وإن
الفضل في اختراعها يعود إلى عبد الله أبو العينين . . كنا نتناول الغذاء في
دار البعثة بعابدين . . وكانت هناك فرقة تحريش سوف أفرد لها حلقة
خاصة من هذه المذكرات . أخذت الفرقة في التحريش بين علوى
جفرى وعبد الله أبو العينين على أمل مشاهدة فصل شيق من فصول
المضاربة بعد الأكل . . ولـكننا فوجئنا جميعاً بطبق الملوخية الكبير
يحملة عبد الله أبو العينين ويصبه على علوى جفرى . . ورغم أننا حرمانا
من الملوخية يوماً فقد كنا مسرورين لهذا المنظر الشائق . . وعقدت
الدهشة لسان علوى وقام من فوره ليبدل ملابسه . .

ثم تكررت بعد ذلك حوادث الأطباق الطائرة في البعثة حتى جاء
حسين العطاس وقام بتجديد خطير في هذا الاختراع كنا نتناول العشاء
بدار البعثة في الروضة و فرق التحريش تؤدي واجبها بين العطاس
والبغدادى وإذا بالعطاس يحمل طريزة الأكل بأجمعها ، ويقذفها على
البغدادى ويحرمانا من العشاء في تلك الليلة . . ومن يومها أوقفنا هذه
التجارب بعد أن تطورت وأصبحت تهدد البعثة بالجوع والحرمان . .
وبمناسبة ذكر حادثة أبو العينين أذكر أنه كان سهل المنال لفرق

التحريش .. كنا ذات ليلة نصلي العشاء ومن عادة السيد ولى الدين أن يطيل الصلاة حتى يدركها الجميع .. وأثناء الصلاة سمعنا فى الغرفة المجاورة حركات عنف وضرب ولكم آهات مكتومة وزجاجا ينكسر وأثانا يتناثر فعلنا أن هناك مضاربة وإن كنا لم نعرف المشتركين فيها .. وما أن انتهت الصلاة حتى تسابقنا لنتمع الأنظار بهذا المشهد الجميل .

فوجدنا رشيد رضوان وعبد الله أبو العينين فى صراع غير متكافئ .. وفصل بينهما السيد ولى الدين - سامحه الله - وحرما من مشاهدة الفصل الأخير لهذه المضاربة الشيقة ..



فلسفة الفلسفة

صديقنا الأستاذ السيد محمد عمر عقيل من الشخصيات الظريفة . . . زاملناه مرة في القسم الداخلي بمدرسة تحضير البعثات ولنا معه فصول كثيرة . . . كان يستيقظ متأخراً فيفطر وحده ويتضايق المراقب من أمره ويظل يراقب انتهاءه بفروغ صبر . . . ومرة كب كأس الحليب على الأرض وبدلاً من أن يبادر بتنظيف الأرض أخذ يلعب في الحليب بأصبعه ويقول بالإنجليزية [ما هذا] وأفهمنا المراقب أنه يتكلم بالفاظ بذيئة ، وكانت واقعة لطيفة . . . وله مع البادكوك فصول لطيفة رويت بعضها في مذكرات سابقة حتى اضطر البادكوك لأن يهجوّه في قصيدة أذكر منها .

أسبك سب كبايا وعسلا إذا انبرتأ لشخص بالخصام
وكبايه وعسله كانتا تليعان الفول النابت في النورية بجدة ، ولم يعجبه كتاب الكيمياء ذات مرة فوضع له ملخصاً كان محشواً بالمعلومات المغلوطة واتفقنا وقتها مع الأستاذ رشوان على تسمية هذا الملخص [كيمياء الشبيبة - تأليف أبو زبيبة] وبالطبع كان هذا الملخص سبباً في دخوله الملحق في الكيمياء ولا بد أنه اقتنع بعدم صلاحيته لأنه نجح في الملاحق . . . واختلط عليه النفي والاستفهام في اللغة الإنجليزية وهو يصرف جملة [عندى قلم] . . . وأخيراً ابتدع طريقة للتعبير عن الاثبات

والنفي والاستفهام ، فعندما يريد الاثبات يقول [عندى قلم] بلهجة
عادية ، وعندما يريد النفي يقولها بنفس ألفاظها مع تحريك رأسه يمينا
ويسارا ، وعندما يريد الاستفهام يقولها بنفس ألفاظها ولكن بلهجة
استفهامية . . . والذين يعرفون الإنجليزية يدركون أن هناك تمييزاً يطرأ
على الجملة فى الحالات الثلاث .

ولما سافرنا إلى مصر إلتحق مع زملائه بكلية الآداب . . . وذهبوا
جميعا للسلام على العميد وكان الدكتور إبراهيم حسن . . . وبالطبع قدموا
السيد عمر عتميل لإلقاء كلمة نيابة عنهم فألقى كلمة ارتجالية ، فماذا قال ؟
كان يريد أن يقول إننا كننا متهميين من هذا اللقاء فإذا بنا نجد من
تواضعكم واطلف شخصيتكم ما أزال هذا التهيب . . . ولكنه عبر عن
ذلك بقوله [لقد كنا نظن أننا سنقابل رجلا عظيما] ثم أدرك أنه
تورط وبعد وقفة بسيطة استدرك قائلا [والواقع إنه عظيم] وكان يلقي
الخطاب من هذا الطراز . . .

ثم جاء اختبار الفلسفة ، وبعد أن اطلع على الأسئلة . أخذ ورقة
الإجابة وكتب عليها [إن هذه الأسئلة غلط . . . وكان ينبغي أن تكون
الأسئلة كذا وكذا] ثم أجاب على الأسئلة التى وضعها هو وكانت
النتيجة أن سقط فى الفاشلة أو على الأصح فى فلسفة الفلسفة . وترك
بعدها كلية الآداب والتحق بكلية الحقوق . وهو يستعد الآن لدخول
اختبار الدكتوراه . . . حتى إذا عاد إلى بلاده فائزاً منتصراً وقد بالغ
السن النظامية يحال فوراً إلى التقاعد والله ولى التوفيق .

عرق... ودموع

لم تكن حياتنا في الدراسة كلها ضحكات وشابة ونوادر لطيفة ..
لقد كانت ية:خللها لحظات من الأسى وساعات من العرق والدموع .. كنا
نحبس أنفسنا طوعا واختياراً أياماً عديدة بل وشهوراً قبل الإختبار
لا نغادر دار البعثة إطلاقاً .. وكنا نقف تحت باب الكلية ساعات
ننتظر نتيجة الإختبار كما ينتظر المتهمون نتائج الحكم عليهم .. وكانت
هذه الساعات من أشد الساعات حرجاً في حياتنا .. تسكاد قلوبنا تتمزق
من تسرعها ، وتسكاد أقدامنا لا تقوى على حملنا ، ونسكاد نسابق الثواني
لنعرف ما يخبوه لنا القدر .. وكما ذقت حلاوة النجاح كثيراً عرفت
مرارة السقوط مرة وكانت صدمة قاسية لى وأنا الذى تعودت على الفوز
المحلق .. ولكنى سرعان ما تقبلت الصدمة وأتخذت منها طريقاً لمعاودة
السير فى طريق النجاح .

كنا نقضى الساعات الطويلة فى العمل فى الكلية دون طعام
إلا لقمات نتناولها ساعة الظهر هى ما كنا نجده فى مقصف الكلية ..
وكنا نخرج من غرفة التشریح ورائحة الموت تزكم أنوفنا ؛ وأيدينا ملوثة
نعجز عن تنظيفها ؛ ثم ندخل إلى المقصف لتناول الغذاء أو لشرب الشاى .
ولم تكن ساعات النهار لتكفى لاستيعاب الدروس فكنا نتردد
على الأساتذة لأخذ دروس خاصة وخصوصاً فى السنة الأولى . لا نشبع

بنوم أبدأ .. ننام خمس ساعات أو ست على الأكثر المستيقظ من جديد
إستعداداً ليوم حافل آخر ، ولم يكن لدينا وقت للنوم بعد الظهر ولم تكن
هذه الساعات كافية لمن كان في مثل عمرنا .

لقد كانت سنوات شقاء وعذاب .. ولكن سكنا في دار البعثة مع
إخواننا الآخرين كان يجعل من أوقاتنا في الدار ساعات سرور ومرح .



أول خبر وفاة

كان ذلك يوم شم النسيم وكان يوماً عاصفاً شديداً الحرارة، وقد سافر أسعد جمجوم إلى السويس لتوديع بعض أقاربه، وكنا في دار البعثة بعد الظهر عندما رن جرس التليفون .. ورفع السيد إبراهيم الوسيه السماعه لسمع نبأ وفاة الشيخ حامد رويحي - أطال الله حياته - فأخبر الشيخ عمر رفيع مدير البعثة المساعد الذي أسرع إلى المرحوم السيد صالح شطا وكان في مصر يقضى فترة للعلاج وأبلغه النبأ .. واستقل الجميع سيارة تكسى وأخذوا معهم المرحوم عبد الحميد رويحي دون أن يخبروه بالحادث لئلا يصدم .. وتحرك التكسى من الروضة وبعد أن سار قليلاً سأل الوسيه عبد الحميد [هل والدك مريض] فأجاب عبد الحميد بالنفي . وبعد أن وصل التكسى إلى القصر العيني جاء دور الشيخ عمر الذي سأل عبد الحميد [نحن سمعنا أنه مريض وقلبه في خطر] ولكن عبد الحميد أنكر .. وعندما وصل التكسى إلى ميدان قصر النيل وأوشكوا أن يصلوا إلى دار الرويحي التفت السيد صالح إلى عبد الحميد - رحمهما الله - وقال له [لقد بلغنا أن والدك توفي، والموت حق .. إلخ] وهكذا نقلوا الخبر تدريجياً إلى الابن المسكين الذي تولته الدهشة والخوف فقد كان مع والده في مساء اليوم السابق وهو بخير وعافية، ووصل التكسى أخيراً إلى دار الرويحي .. وصعد الجميع ليجدوا الشيخ حامد يداعب تعميرة الجراك .

وانقلب حزنهم إلى مبالطة وسرور .. ثم عادوا إلى دار البعثة ليكتشفوا
فما بعد أن أسعد جمجوم هو الذى دبر المسألة التليفونية .. ولكنهم
لم يتعظوا فقد كانوا فريسة لمقالب تليفونية أخرى كما سنرى فى هذه
المذكرات .



فرو التحريش

كان يلذ لنا في البعثة التحريش بين زملاء ؛ ونسر جميعاً لمنظر المضاربات ؛ ومن الذين اشتهروا بالتحريش أحمد شطا وحسن شطا وشرف كاظم وأمين جاوه وعلى غسال والداعي .. ولو أنني أردت استقصاء جميع المضاربات لوفيت مجلداً عنها هذا إذا أسعفتني الذاكرة . ولكني سأذكر أهمها اليوم وفي بعض الحلقات التالية ..

كان لا يمر يوم لانحرش فيه بين أحمد شطا وسعيد آدم وكانا يقضيان الساعات في المضاربة بالأيدي وبجرادل الماء ونحن نتفرج ونوقد النار كلها أو شكت أن تنطفئ .

وعندما جاء محمد صالح رضوان إلى مصر لأول مرة كان الشيخ حامد رويحي ولي أمره وأصلي ابنه المرحوم عبد الحميد بملاحظته وكان الأخير يسكن معنا في البعثة ويأتي محمد صالح لزيارته ويظهر له الإحترام والأدب فأردنا أن نزيل هذا الحجاب بينهما وأخذنا نحرش بينهما وكان التوفيق حليفنا ولكن محمد صالح كان يأتي ببدلته ويخشى تمزقها فأعددنا له ثوباً خاصاً للمضاربة نقدمه له حال دخوله إلى دار البعثة لتبدأ المضاربة وتمتع أنظارنا بمشاهدة الفوارق وهي تتحطم بين التليذ وبين ولي أمره

واحتدمت المناقشة يوماً بين الكعكي والبغدادى .. ونحن نضحك ونوقد النار .. وثار البغدادى ولكنه وزن الأمور فوجد أنه من الحماقة

مهاجمة الكعكي وهو أقوى منه فخافل أسعد جمجوم وهجم عليه واشتبك
الاثنان وكانت النتيجة أن تغلب أسعد على البغدادى .. وبعد أن تفرقا
قال البغدادى لأسعد (كل يوم زى كده) رغم أن البغدادى كان مغلوباً .
ومن الطف التحريشات ما قمنا به بين علوى جفرى وسلطان زمزى .
وكانا ينامان فى غرفة واحدة . . ويتكلمان أثناء النوم بل ويمشيان ..
وكان من عادتهما أن يغلبهما النوم مبكرين ، وذات ليلة كنا نذاكر
فى غرفتهما عندما بدأ أحدهما يتكلم وهو نائم وأخذ الآخر يرد عليه
فتدخلنا وحرشنا بينهما فى الكلام فأخذ يكيلان الشتائم لبعضهما
وهما نائمان .. وأخيراً بلغ بهما الحماس أن قاما ليتضاربا دون أن يشعر
أحدهما بشيء .. ولم يستيقظا من النوم إلا على رنين الكفوف يكيلاهما
أحدهما للآخر .. ونحن نكاد نموت من الضحك على هذا المنظر الفريد .



زواج أبو شفوع

وأبو شفوع هو الشافعي مساعد الطباخ في البعثة ومن أهل مكة .. وكان شخصية طريفة تمكنت منه الحاروية ، وكنت تراه دائماً في فناء البعثة [يتقاسع] مع المنيعي أو الغسال أو محمود مرداد .. ولقد تزوج مرتين ونحن في مصر وذهب الزملاء يحضرون الزواج الأول ، وبدأ الفرح . وكان أقارب العروس وأصدقاءهم من فتوات الحسينية على ما يظهر : وأمثال هذه الأفراح في مصر تنتهي غالباً بمعركة وإلا فقد الفرح أهم خصائصه ولم يجد الفتوات مائة خرون به .. وتصدى واحد من الفتوات الطلاب البعثة وفيهم [النشامى] المعدودون فبرز له المنيعي و [خش] له وسط على الطريقة الحجازية في المضاربة .. ولكن يظهر أن الفتوة لم يعترف بهذه الطريقة فاستعمل [البوكس] وفي لحظة كان أخونا المنيعي بمدداً على الأرض دون حراك .. ودوت الزغاريد تحيي فتوة الحسينية .. أما فتوة الحجون فقد حمله زملاؤه الذين آثروا السلامة وعادوا إلى دار البعثة قانعين من الفرح بالفرار .

وجاء زواج أبو شفوع للمرة الثانية .. وذهبنا لنكبر يومه ولنساعم في النقطة وألف مرة والجدعان وغير ذلك من مظاهر الفرح البلدى في مصر .. وانكمش النشامى في هذه المرة .. وبعد منتصف الليل بدأ الزفاف والنصة .. ثم عدنا إلى حلبة الفرح مرة أخرى .. وبعد قليل

انسحب أبو شفوع .. وظللنا وقتاً ثم سمعنا صياحاً وتخبیطاً على الأبواب
فأسرعنا نلبس السلب .. كان أبو شفوع يريد أن يثبت رجولته فوراً
وبنفسه .. أما والدة العروس فكانت ترى أن ذلك يعتبر وحشية
وأن من الضروري اتخاذ الوسيلة المتبعة في بعض الأوساط البلدية هناك ..
ودارت معركة كان فيها أبو شفوع منفرداً وسط مجموعة كبيرة من الرجال
والنساء .. وانجلى المعركة أخيراً عن فوز أبو شفوع وخروجه منتصراً
مرفوع الرأس وسط الهتاف هتاف صاخب من طلاب البعثة الذين
رأوا في انتصاره رداً كريماً على الهزيمة التي منوها في زواجه الأول .



بابا شارو

كان السيد ولى الدين أسعد مراقب البعثة يعدد لنا فوائد الإذاعة وأثرها في تثقيف الشعب . . . وأخذ يذكر أبواب الإذاعة المختلفة حتى قال [وحديث الأطفال لبابا شارو . . . إنه حديث قيم فيه ثقافة للأطفال ... وإني قد عودت أطفالي على انتظار هذا الحديث ... وأجلس معهم دائماً لسماعه وشرح ما قد يحتاج إلى شرح لهم . .] والتقطها اللبيب ...

إذن فالسيد ولى الدين من مستمعي بابا شارو . . إن هذه فرصة طيبة لمداعبة السيد ولى الدين . . . أرسل أسعد جمجوم خطاباً بالبريد لبابا شارو قال فيه بعد أن انتحل لنفسه اسماً مناسباً [إن إبني ولى الدين أسعد كثير الشقاوة في البيت . . . ويضرب إخوته . . . ويعمل كذا وكذا] .

وجلسنا يوم إذاعة حديث الأطفال إلى الراديو وكنا نتخيل السيد ولى الدين جالساً إلى الراديو أيضاً مع أبنائه يستمتعون بهذه الثقافة الطيبة .

وجاء دور الرسائل الموجهة إلى بابا شارو من أهالي الأطفال . . . وانطلق بابا شارو يقول [خلاص أنا مخاصمك يا ولى الدين أسعد . . .

مش عيب بابا يشتكى منك وتعمل شقاوة في البيت وتضرب اخواتك
إلخ ...]

وفي تلك الليلة جاء السيد ولي الدين إلى البعثة لإنجاز البريد ...
ودخلنا عليه نعرض مشاكلنا فكان كلنا سلم عليه أحد نظر إليه من تحت
لتحت وكأنه يقول [هل أنت الذي عملت العملة] .

ومن المؤكد أن السيد ولي الدين انقطع بعد ذلك عن سماع بابا شارو
وفوتنا على أطفاله الاستمتاع بثقافة أجاديث الأطفال ..



مقامات الساسى

أخونا طاهر الساسى كان ذا مزاج عجيب .. يكتب يومياً خطاباً لوالده يشرح فيه دقائق ما يحدث فى البعثة .. [اليوم كان الأكل دجاجاً ولكن الطباخ لم ينظفه جيداً .. واليوم تضارب فلان مع فلان بسبب كذا .. واليوم تخاصمت مع فلان ولم أتصالح معه إلى غير ذلك] ... وقد تضارب مرة مع رشيد رضوان مضاربة حامية الوطيس وطبعاً فتك به رشيد حتى سال دم الساسى .. وبعد أن تدخل الموفقون بينهما وقبل أن يصلح الساسى من هندامه وشكله أخذ ورقة وقلماً وكتب لوالده [والدى العزيز : أكتب إليك والدعاء تسيل على وجهى ، ... ثم أخذ يصف المعركة وصفاً دقيقاً ويسمى رشيداً فى كتابه تسميات تدخل فى باب المملكة الحيوانية ...] .

واشتد الشتاء فى البعثة وكانت أحوالنا مفلسة فأخذ هو والرويحى - رحمه الله - بطايات البعثة وعملاً منها سترات طويلة [بالطو] ... وكانت مفاجأة للسيد ولى الدين ..

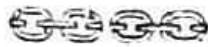
وكان الشيخ الساسى عضواً فى مجلس المعارف ومن يعطف على أحوال البعثة .. كيف لا ولديه سجل يومى عن حوادثها .

وذهب بعض الزملاء فى الإجازة الصيفية إلى مكة وطبعاً قابلوا الشيخ ... وكانت هناك إشاعة أن ميزانية البعثة تبحث وأن هناك زيادة

فى مرتبات الطلاب .. فسأل الزملاء الشيخ عن حقيقة زيادة المرتبات
ولكنه أجابهم وهو يضحك ضحكته المعروفة [ما كان على ما كان]
وهكذا ذهبت - مثلاً - يذكر كلما جاءت ذكرى الشيخ الساسى بين
الطلاب ...

وأخيراً تزوج أخونا السامى وكنت أنا واسطة الزواج فقد تزوج
من بعض جيرانى وما أن تمت مراسم الزواج حتى كشرت حماة الساسى
عن أنيابها ودخل فى مشا كل عجزنا عن حلها ...

واتمنى الزملاء بأن زواج الساسى كان مقابلاً مدبراً منى وأقسمت
بعدها ألا أرتكب جريمة تزويج أحد وللساسى فى زواجه نواذر لا يتسع
المقام لذكرها ؛ وقد تذكر هذه النواذر فى المجالس الخاصة .



بط الشيخ عمر رفيع

هذا الحادث يعتبر من أهم الحوادث في البعثة . . . وكانت العمادة تحتفل كل عام بذكره وتسمى يوم الذكرى [يوم البط] وفي إحدى المناسبات ألقى أسعد جمجوم قصيدة مطلعها :

يا يوم البط نمجده ميدان الجيزه موعده

كان الشيخ عمر رفيع يربي في دار البعثة خمس بطات ويعد لها لحمة غذاء للرحوم السيد صالح شطا الذي كان يستشفى في مصر .

هذه معلوماتنا ولكن للحقيقة والتاريخ نذكر أن الشيخ عمر رفيع ينفي أن البط له : ويؤكد أن البط للرحوم محمد سالم . وكان شكل البط وهو يتهاذى في فناء البعثة مغرباً ومسيلاً للعب أعضاء العصبة . . . وفي إحدى ليالى الجمع تقرر اختطاف البط . . . ولا أنكر أنى كنت من مدبرى الخطة .

ولكن للحقيقة والتاريخ مرة أخرى أذكر أنى كنت منهمكاً في مذاكرة التشریح استعداداً للاختبار ولكنى كنت مطلعاً على تفاصيل العملية أولاً فآولاً وللأسف لم أذق لحم ذلك البط . . . حمل أعضاء العصبة البط وأخرجوه من الباب الخلفى للبعثة وشاهدتهم مكوجى البعثة ولكنهم هددوه بالتسبب فى فصله من البعثة إذا أذاع الخبر . وكان منظر أفندية يحماون البط على كوبرى عباس والبط يصيح

منظراً غريباً أصله رشيد رضوان والمرحوم الرويحي بأن قالوا لرفاقهم بصوت عال مسموع [الله يلعن كلية الطب حتى البط يكلفوننا بتشريحه] .

ووصل الزملاء إلى مطعم في الجزيرة واتفقوا مع الطباخ على طهيه وعمل عشاء لهم . . . وكان في المطعم مصادفة البغدادي ومحمود حجازي وأحمد المبارك من طلاب البعثة . . . فطلب منهم أسعد جمجوم أن يشاركهم في الغنيمة لئلا يفضحهم على شرط ألا يعترفوا في التحقيق . أما المبارك فوعد بعدم إفشاء السر ولكنه اعتذر عن الاشتراك لأنه يخشى أن يخلفه السيد ولي الدين اليميني فلا يستطيع النكران إن أكل معهم . . أما الباقيون فقد وقعوا جميعاً على محضر أعدده أسعد قالوا فيه [نعترف أننا سرقنا البط واشتركنا جميعاً في أكله] وأعتقد أن أسعد لا يزال يحتفظ بهذا المحضر . . .

واكتشف الشيخ عمر الحادث في نفس الليلة ولكن أسعد كان ملازماً له ولم يغيب إلا في فترات الاختطاف والأكل ولم يلاحظ الشيخ عمر هذا التغيب . . وأنا كنت أذاكر في غرفتي . ولذلك وجدنا من السهل إلصاق التهمة بعلوي جفري وسعيد آدم وحسن فقيها وكانوا يشتركون في عشاء في البعثة مكون من الكبد والكلاوى وكان حسن فقيها يشرف في المطبخ على إعداد العشاء . . فاعتقد الشيخ عمر بإيعاز منا أن هذه كبد وكلاوى البط المختلوف . ولكن الجماعة حلفوا له الأيمان المغلظة . . فزال الشك منه قليلاً . . حتى تأكد في اليوم التالي من الحقيقة . . ولكن المسألة مرت بسلام . .

يوم البلاد السعودية

أقامت كلية الآداب بالقاهرة سلسلة من الأيام عن البلدان العربية ،
فيوم للعراق ويوم لسوريا إلخ ..

وكان طلاب كل بلد عربي يظهرون في يومهم ألواناً من النشاط
الاجتماعي والمسابقات في بلادهم ، وكان اليوم عبارة عن مهرجان
عظيم للدعاية ..

وجاءنا زملاؤنا في كلية الآداب يطلبون منا إعداد برنامج لإقامة
يوم للبلاد العربية السعودية وبدأنا نعد البرنامج ونعمل بروقات في دار
البعثة .. وكان سعادة الشيخ عبد الرؤوف الصبان رئيساً لمجلس المعارف
ومقيماً وقتئذ في مصر .. فأطلعناه على البرنامج .. فحذف منه لعبة المزمارة
التي كنا نتدرب عليها يوميا ويحرص النشأ على وجودها في البرنامج ..
وأقره في ذلك الشيخ أحمد باغمار الذي كان في مصر ، وبالطبع كان
السيد ولي الدين من المؤيدين لهما ..

وجاء يوم المهرجان وغصت قاعة المحاضرات الكبرى في كلية الآداب
بالمدعوين والأساتذة والطلاب .. ووزع برنامج الحفل وكان من بين
مواده [لعبة العمال] .. وبدأ تقديم البرنامج .. قدم محمد منصوري مع
مجموعة الحجاج بملابس الإحرام وهم يلبون ، وكان منظراً مؤثراً .. وقدم
رشيد رضوان مع مجموعة أخرى أغاني البدو وهم في العباءات البدوية

وكانوا بالطبع يؤلفون كلاماً من رؤوسهم لا يمت للغة البدو بشيء؛
ولكن أحد أساندة اللغة العربية في الكلية أسرع نحوهم وفي يده ورقة
وقلم ليلتقط هذه اللهجات البدوية من منابعها الأصلية .. وقد منا ألواناً
أخرى من البرنامج كانت جميعها محل الإعجاب وكان يومنا أحسن
الأيام ..

ثم جاء دور لعبة العمال .. ودخلنا الصالة في الزى الحاروى يتقدمنا
بإدكوك وعليه عمامة العمد التقليدية وعلى كتفيه ما تيسر من المصانف
والبقش؛ ونحن نندد خلفه [يا شيخنا حنا قليله لسكننا سم العدا] ..
وانتصب الشيخ أحمد باغفار واقفاً - وهو ابن خال البادكوك -
وقال [عملوها الغروخ] ..

ووضعت النار في وسط الصالة وبدأت لعبة المزمارة التي أختيناهما
تحت إسم [لعبة العمال] وسر لها الحاضرون جميعاً وفي مقدمتهم الشيخ
عبد الرؤوف وكان عمدتنا يتقبل عبارات التحية والإعجاب ..

ثم ألقى الشيخ عبد الرؤوف كلمة شكر فيها الحاضرين .. كما ارتجل
الأستاذ فؤاد شاكر أبياتاً أولها :

باسم الحجاز وباسم الشعر والأدب

هتفت بالشعر في كلية الأدب

تجارب المطر الصناعي

كانت هذه التجارب لاتنقطع في دار البعثة . وكانت جرادل الماء وهي تصب من شاحق على الطلاب أو على زوار دار البعثة الأفاضل شيئاً عادياً في حياة البعثة . . وكانت إدارة البعثة تعجز عن ضبطنا متلبسين بهذه التجارب لأن المراقبين كانوا متأكدين أن أى واحد منهم يطل برأسه ويبحث عن الذين يلقون جرادل الماء سيكون نصيبه واحداً من هذه الجرادل دون شك . . كان الأستاذ إبراهيم الفلالى مراقباً في البعثة وكان شديداً لقي منه الطلاب كثيراً من خصم الرواتب . . وكان يومها جالساً في الشرفة قبيل المغرب ينتظر مدفع الإفطار في رمضان . . وإذا بجرادل من قمر الدين المثلج يصبه عليه أمين جاوه من الطابق العلوى . . هب الرجل واقفاً وهو يصيح ويشتم ويدعو وبالطبع لم يعرف غريمه . . ولعله يعرفه الآن وكان عبد القادر جان أكثر خوفاً من جرادل الماء . . كنا نتسحر في رمضان ونجرب لننتظره بعد السحور بجرادل الماء فكان يتأخر في غرفة الطعام ويصلي الصبح وتطلع الشمس وهو يصيح [ياناس حرام عليكم أريد أن أنام] ومع ذلك فكان يتلقى وجبته اليومية من جرادل الماء . .

وجاء السيد إبراهيم الشورى يفتش على البعثة . . ولم تعجبه أعمال الطلاب وتصرفاتهم فقال للشيخ عمر رفيع مدير البعثة المساعد [لا بد من

استعمال الحزم مع الطلاب [فشرح له الشيخ عمر المصائب التي يلقاها مع الطلاب وشقاوتهم .. ومع ذلك فقد كان السيد إبراهيم يصر على أن استعمال الحزم كفيل بوضع الأمور في نصابها ..]

وخرج يومها السيد إبراهيم من البعثة والشيخ عمر يودعه على الباب وكان الطلاب يمزحون بالماء فأصاب « السيد إبراهيم » جردل خاطيء من الجرادل فعاد إلى البعثة ليجنف ملابسه والشيخ عمر يقول له شامتا :
[هيا ياسيدى ورينا الحزم] .



قائد الملحق

أخونا أحمد المبارك من الشخصيات الظريفة .. وقد سبقنا في الابتعاث ووجدناه في مصر .. فوجدنا فيه أخا أديباً ، كريم الخلق خطيباً على طريقة [كيفما اتفق] ..

فهو لا يعد الكلمة التي سيلقيها ، بل عندما تطلب منه الكلمة يقف ويلقى كلاماً كيفما اتفق .. وكان يتحلى بالأنانة وخاصة في الامتحانات فهو لا يرى من الضروري التعجل في إنهاء السنوات الدراسية ، فالسنة الدراسية كما وصفها رواد الثقافة تنتهى في بضعة شهور ، ولكن الأستاذ المبارك يرى في ذلك إرهاباً للطالب الذي يجب أن يتروى في التحصيل سنة وسنتين وثلاثاً حتى يهضم هذه المعلومات المكثسة ويستوعبها .. فإذا جاء اختبار الدور الأول ذهب الأستاذ المبارك بنفسه راضية مطمئنة ، وخرج منه وهو واثق من عدم النجاح ، وأخذ يتلقى التهاني من زملائه ، كما أخذ يستقبل زملاء الملحق ويتصدى لزعامتهم وينظم معهم برامج المقالب والفسح في الصيف غير أن الأستاذ المبارك فوجئ مرة مفاجأة لم تكن في الحسبان خرج من امتحان الدور الأول وهو سعيد للنتيجة المرتقبة وهى بالطبع عدم النجاح ..

وأخذ يعد نفسه للدور العظيم الذي ينتظره في الصيف ودخل زميله في كلية اللغة العربية السيد محسن باروم يخبره أن النتيجة قد ظهرت وأن

المبارك بين الناجحين . فضحك المبارك وضحكنا وقلنا للباروم [لالعـ
غيرها . . قديمه] ولكن الباروم كان جاداً وأخذ يحلف أن المبارك قد
نجح . حينذاك وجم المبارك ولكن لم يكن مصداقاً ، وقام ليذهب إلى
الكلية ويتأكد بنفسه ، وذهبتنا معه خوفاً عليه من أن يصدـم بالحقيقة
ودخلنا على سكرتير الكلية نسأله فاطلع على الأوراق . وقال نعم هو
ناجح . ولكن المبارك قاطعه صائحاً [ياأستاذ تأكد ربما أن رقم جلوسى
مغلوط] وتأكد السكرتير . . وخرج المبارك وهو مطأطئ الرأس
قائلاً [إنا لله وإن إليه راجعون] ونحن نواسيه ونعزيه والسكرتير فى
عجب لهذا المنظر الغريب . وكانت ليلة فى دار البعثة لم يبتسم فيها
المبارك ووفود الطلاب تدخل عليه للتسرية والترويح عنه ورفع معنوياته
بعد أن فقد الزعامة التى حافظ عليها بجدارة سنوات طويلة . . وبعد
أيام اضطر المبارك مرغماً أن يعود لقضاء عطلة الصيف فى الاحساء بين
أهله ؛ وكان الطريق إليها لايزال بالسيارات من جدة فالرياض .



رسائل العشوات

كانت هذه الرسائل من وسائل التسلية عندنا في البعثة كنا نختار زميلاً متأنقاً أو معجباً بنفسه فنبعث إليه برسالة مزورة بخط رفيع وعلى ورق أزرق أو وردي ومضمنة بما تيسر من العطر ، وتشيد الرسالة بالمرسل إليه ويتراءى الإعجاب بين سطورها ، ثم تنتهي الرسالة بتحديد موعد . وقد أرسلنا كثيراً من هذه الرسائل وسوف أذكر منها ما وعته الذاكرة .

كانت أولى الرسائل لحسن فقيها . . وكان يخرج يومياً مع زملائه للفسحة على كوبرى قصر النيل واستنشاق هواء البحر الأبيض المتوسط [حسب نصيحة السيد ولى الدين] . وفى اليوم الذى تلقى فيه الرسالة اعتذر عن الخروج ، ولما ألح عليه بعض الزملاء الذين كانوا يعرفون قصة الرسالة اعتذر بالتعب وأن عنده مذاكرة . فخرج الزملاء وتركوه . . وذهبوا إلى المكان الذى حددته الرسالة ينتظرونه وما إن حل الموعد السعيد حتى أقبل أخونا حسن فى حلة أنيقة وقد وضع وردة حمراء فى سترته ووقف ينتظر ويتلفت يميناً وشمالاً لعله يجد صاحب الوعد الذى ذكر الملابس التى سيرتديها . . وأخيراً ظهر له زملاؤه وأعادوه إلى دار البعثة وسط زفة وهتاف . . ومن الرسائل اللطيفة رسالتان وجهنا أحدهما لمعتوق باحجرى والأخرى لعمر عقيل وكان الموعد فى الرسالتين

فى ساعة واحدة فى الحديقة اليابانية بحلوان .. وشاهدت محطة باب
اللق منظرأ طررفاً .. وصل الزمفان لفسقلا القطار إلى حلوان ..
ورأى كل منهما الآخر وتجاهله ولما ركبا القطار أخذ كل منهما فحقف
عن الآخر .. وكذلك فعلا فى الحديقة اليابانية .. ولما طال الانتظار
وفدسا عاذا واستقلا القطار وحقنذا لم فبدا داعفأ للإحقفاء وجلسا
متجاوزفن وكل منهما فحقف الفشل الذى لقفه ولسان حال كل منهما فقول
[وتبدلت غزلانها ...]

ورسالة طرفة ثالثة تلقاها مراد أبو السعود والموعا بفجانف ققص
الأسوا فى حديقة الففوانات .. وذهب مراد وانتظر دون طائل ثم ظهر
له خضر حجار ضاحكا مازحأ كعاعفه مع مراد . ولكن مراد ظن
أن خضر هو مابر المقلب وأنه حضر لفرى النففة واشتباك الاثنان
فى صراع فضه حراس الحديقة .

ورسالة رابعة للشرف صااق رففق وضعت على سرفر نومه وواخل
حلوى وكانت الرسالة كأنها ألقف من نافاة البف المجاور .. وأحقف
صااق الرسالة والحلوى . ثم جلس فنتظر أفا مأ لعل الحلوى أو الرسائل
تتكرر وفى سفل ذلك ترك نافاة غرففه مفتوحة باستمرار وكانت
تلك هى الخطوة التى تنتظرها العصافة .. فقد تسلل أفرادها من النافاة
وسطوا على المأكولات التى فى الغرفة .

الضبط و الربط

هذه الحلقة مهداة إلى طلاب البعثات العسكرية بمصر .. إنهم يطالعون فيها سطوراً من حياة التلمذة لمديرهم السيد منصور عارف .. جاء من المدينة لأول مرة ليلتحق بمدرسة تحضير البعثات في مكة .. وأقام مدة في جدة ينتظر الفرج من الأستاذ عمر نصيف ليسافر إلى مكة ، وقد تعرف في جدة بالمرحوم محمد عثمان رضوان ، وكان هو وابنه محمد وداد رضوان مثال الظرف والأناقة ، وقال الشيخ عثمان يوماً لمنصور [إن ابن أخي رشيد رضوان سيكون من زملائك في المدرسة وسوف يسرنى أن تكون وصياً عليه] وأخذ منصور يمني النفس بمعرفة رشيد ظناً منه أن يكون مثل عمه وابن عمه . وكان منصور يتمشى يوماً في باب جديد إذ برز له شخص فجأة وقال له : [مساء الخير يا منصور ، أنا رشيد رضوان] ودارت الدنيا بمنصور وتبددت أجلامه أدراج الرياح .. وعندما سافرنا إلى مصر استقبلنا السيد ولي الدين أسعد والأستاذ عبده العسكري نائب القنصل السعودي في السويس .. وهنا تجلت الروح العسكرية العربية في منصور ، فإنه لم يكن يطلق على عبده العسكري إلا عبده الجندي ، وظل كذلك مدة طويلة وربما إلى يومنا هذا والتحق منصور بكلية الآداب إلا أن الروح العسكرية ردت إليه وجهته الطبيعة ، فالتحق بالكلية الحربية مع السيد علي زين العابدين . وكأنا لا يأتيان إلى دار البعثة إلا يوم الخميس والجمعة وعيونهما دامعة حمرام . كانا يلقيان عناء شديداً في الكلية.

وكان زلاؤهما المتقدمون عليهما في المدرسة وأساتذتهما شديدين معهما
شدة متناهية حتى بدون مبرر .. فإذا تخاصم أحدهما مع زميل أعلى رتبة
انتهز هذا الأخير الفرصة وحكم عليه بحبس [خميس وجمعة] أو [بطا بور
زيادة] أو طلب منه التشعلق على الدولاب لمدة ساعة .. ولكن ما يكاد
طلاب الكلية يخرجون في يوم الخميس والجمعة حتى تراهم بملابسهم الأنيقة
وعصيمهم السوداء مرابطين أمام الأمريكيين في شارع فؤاد في طا بور
محبب إلى نفوسهم ينسيهم هم طواير الأسبوع.



قوسيد الكسار

كنا في أيام البعثة الأولى ذوى مشارب موحدة .. نتمسح في مجاميع كبيرة ونشاهد في الأسواق معاً .. وكانت ميولنا واحدة .. اكتشف أحدنا - ولا أذكر من هو - مقهى تباع فيها القهوة [أم اللوز] .. فكننت تجدنا دائماً هناك رائحين غادين في مجموعات .. وأطلقنا على هذه القهوة من باب الاختصار [أم لوزة] وكان يطيب لنا الجلوس هناك .. وكان صاحب المقهى [عباس أفندي] رجلاً لطيفاً حلو النكتة .. فكان يطيب لنا الجلوس معه وقضاء أطيب الأوقات .. وتوطدت أواصر الصداقة بينه وبين البادكوك .

وكان لأسعد جمجوم شلته المكوّنة في الغالب منى ومن البادكوك وعبدالله شرف : وكانت لأسعد سيارة سكودا ، وكنا نتقاسم قيمة البنزين ونخرج بها إلى الضواحي للنزهة .. وكان في [طبلون] السيارة مفكرة يكتب فيها أسعد إحصاءاً يومياً عن نزهاتنا .. ولعله يحتفظ بهذه المفكرة فيقدمها للصديق السيد سامى كتي ، خدمة لمن الإحصاء .. ثم اكتشف واحد من الزملاء محل ليلاس في روض الفرج فكنت تجد الزملاء يشغلون ترام ٣٠ كل خميس لقضاء السهرة في ليلاس ، وكنت تجد عمر عقيل في الصفوف الأولى ، وفي ليلاس نظم بادكوك قصيدته المشهورة :-

متع عيونك في اللحاظ الدبل واحذر ولا تقرب لثلا تبلى

ويقول :-

وإذا رغبت أبا المليح وفنه فاركب ثلاثينا ولا تتمهل
وانزل آخر موقف لترامهم واسأل على ليلاس أين وأقبل
واجلس على الكرسي منجصاً ولا

تضع الجاكته خلف ظهرك تنشل
واقعد كما قعد [العقيل] مفرشاً
واقدم إذا حق اللقاء في الأول

ويقول :

وانده على الجرسون واطلب شاهياً
أو قهوة وقل التسال يا أبو على
وانس الهموم ولا تفكر ساعة
في الوقت أو في عمك [السيد ولي]
وإذا بليت بخضم شهر واحد
فاصبر لحكم الله فهو المبلى

وكان إبراهيم الوسية موظفاً في البعثة ومشرفاً على رشيد رضوان
بصفة خاصة ، لأنه قريبه ونصحه بعدم ارتياد أحد المحلات .. ولكن
رشيد ذهب يوماً خفية إلى ذلك المحل فوجد الوسية في الصف الأول ..
فناداه قائلاً : [مساء الخير يامسى السيد ماذا أتى بك إلى هنا ؟] فانزعج
الوسية وقال : (أنا جئت مخصوص لمراقبتك) ثم انقلبت رقابته على
رشيد إلى الأبد .

وكان من زملاء من له طابع خاص في الفسح ، فمثلا : كنت تجد
عبد العزيز الربيع دائماً في الأمريكين، وحوله مجموعة من طلاب المدارس
الثانوية وكنت تجد على غزال مع مجموعة من زملاء في حنطور مكشوف
في شارع فؤاد وهم يغنون بصوت عال [صهبة] ويسفقون وكأنهم
أولاد حارة يتمشون في حوارى النقاء .



ظهور الأشباح

كانت الأشباح تراود دار البعثة بمصر باستمرار .. كانت الأنوار تقطع فجأة عن دار البعثة ، ويسود الظلام ثم تتحرك الأشباح قاصدةً وجهات معينة وتتخير زبائنهم بين طلاب البعثة الخوافين .. كان بادكوك وأحمد جمجوم يدعون ويصلون في ليلة النصف من شهر شعبان ، وإذا بالأنوار تطفأ وتتحرك الأشباح لتطهرهم بوابل من قشر البطيخ ، وكلما اشتدت الحملة عليهم ضاعفوا من دعواتهم وتوسلاتهم .. وكان عبد اللطيف جمجوم نائماً في فراشه فاستيقظ فجأة ليجد نفسه في ظلام دامس وقد غرق هو وفراشه تحت وابل من قشور البطيخ والشام وبذورهما ، فجلس في فراشه يتلو آية الكرسي وما تيسر من التعاويذ والأدعية .. ثم اختارت الأشباح رشيد سنبل وهو نائم وداعبته بعود طويل تغمره به في أما كن معينة من جسمه ، وهو يغطي نفسه باللحاف ويرتعد مع كل غمرة ويهزأ التعاويذ والأدعية .. وأبو العينين يستيقظ مذعوراً ليجد الأشباح تنشد نشيداً خاصاً فوق رأسه ، ثم تضاء الأنوار فجأة ليجد أحد الأشباح عارياً فيطلق صيحة فزع ثم ينطلق وراء الأشباح التي تهرب ، ويكاد واحد منها أن تنزلق قدمه وهو يقفز من شرفة إلى شرفة فيسقط في الشارع لولا أن الله سلم .. وقد أرسل عبد اللطيف جمجوم كتاباً لابن عمه أسعد يتبرأ فيه منه لأنه لا يرد

الأشباح عنه ، فما كان من أسعد بعد أن اكتمل كشف خطأ نحويًا في الرسالة ،
إلا أن يُوثر عليها بالأحمر ثم يعيدها إلى ابن عمه وعليها [تسعة من
عشرة] .. أما البادكوك فما يكاد يعرف عن ظهور الأشباح حتى
يلجأ إلى غرفة الأستاذ عمر رفيع مدير البعثة المساعد ، ويطلب منه أن
[يسريه] إلى غرفته فيصعد معه الشيخ عمر ثم يمر عابرين في غرفنا ونحن
نتظاهر بالنوم فيشاهدنا ويتسمع إلى ضربات قلوبنا وإلى تنفسنا ، ثم
يعود دون نتيجة .. وكان السادة حمزة المرزوقي ومحمد شطا وياسين
طه يفتشون في تلك الأيام على البعثات ، ولاحظوا ضيق الدار وأخذوا
يبحثون عن دار أخرى لنا .. وتوالت عليهم الشكاوى تطلب التعجيل
في إيجاد الدار - خاصة بعد ظهور الأشباح .. ثم تقدم الطلاب إلى
مدير البعثة بعريضة وقعوها جميعاً عدا حامد هرساني وعبد الله بغدادى
الذين تشاءما مما فيها .. وكانت العريضة تطلب بناء مقبرة [قرافة]
لطلاب البعثة بعد أن مات واحد منهم ودفنوه في المقابر العامة ..
وأخذ السيد ولى الدين يضرب كفاً بكف وهو يقدم العريضة لحضرات
المفتشين ويقول [اتفرجوا يا سيدى إحننا ما وجدنا لهم دار للسكنى وهم
الآن يطلبون قرافة لهم] .. ورأى حتى المفتشين أن السلامة تقضى
بترك هؤلاء الطلاب وشأنهم بعد أن أعييتهم الحيل فى إرضائهم .

منظر في شيكوريل

كان محمد فدا، على علاقة طيبة بالعصابة وإن لم يكن عضواً فيها ولكن العصابة كانت تخشى لسانه وما اشتهر به من ألفاظ كانت غريبة في ذلك الوقت على أسماع الطلاب، وإن كانوا قد استحسوها وتداولوها فيما بعد .. ومن النكت التي تداولوها في ذلك الوقت، أننا كنا نتخيل الفدا، وقد أصبح رئيس محكمة وقد جلس ينظر في قضية وعن يمينه البابصيل وعن يساره المنيعي ثم يتداول رئيس المحكمة مع عضوى الميمنة والميسرة قبل إصدار الحكم كما هو مشاهد في الروايات المصرية، فكنا نتخيل الفدا يسأل العضوين عن المتهم بعد المرافعة [إيه رأيكم في ابن كذا وكذا] وكان الفدا ذواقاً للطعام يجيد الطهي ويتفنن فيه .. كما كان أنيق الملبس .. وكان إجتماعياً في حفلات البعثة ورحلاتها وخطياً وشاعراً .. وكان بينه وبين مسجل كلية الشريعة [اتفاق الجنتلمان] يأخذ المسجل في نهاية كل شهر الجراية المقررة لمحمد فدا من الكلية نظير التستر على غيابه من الكلية طيلة أيام الشهر [وأرجو أن يعذرني الصديق في إذاعة هذا السر بين طلابه الذين يحاسبهم حساباً دقيقاً على الحضور في أوقات الدوام] .

وقد أخبرني على الشاعر - والعهد على الراوى وهو صادق الرواية - أنه ذهب مرة مع الفدا لشراء فلائن صوف من شيكوريل، وعندما ذهبا لدفع الفلوس وقفا في الطابور ووجدوا عاملة الكيس تجيد عدة لغات .

فقال على الشاعر للفدا : سوف أظهر لك عجزها في اللغات .. ولما وصل
الشاعر إلى العاملة كلمها بلغة شديدة بالتهكروني فلم تفهم وهو يتكلم بصوت
عال وبحركات من يده وبسرعة كلما كينة فتفرست العاملة في وجهه وهو
أسمر وله مشالي فنادت أحد البرابرة الذين يعملون في المحل بعد أن ظنت
أن الشاعر بربرى ولكن التفاهم كان صعباً لأن الشاعر كان يؤلف الكلام
الذى يقوله من رأسه .. وأخيراً هزت الشهامة محمد فدافت طوع للترجمة
قائلاً : إنه من الحجاز ومتعود على مثل هذه اللهجات .. ودفع الشاعر
الفلوس ثم وقف يصلح ربطة عنقه أمام المرأة والطابور معطل والناس
متضجرون فصاحوا يطلبون خروجه .. فالتفت إليهم وقال بالعربية :
[حاضر والسلام عليكم] ثم ولى هارباً . وهنا التفت موظفو المحل
والزبائن إلى الفدا وقالوا له : [يا نصابين عاملين نمرة وعطلتمونا] فأقسم
لهم الفدا أنه لا يعرفه ولم يشاهده إلا في شيكورييل .. ولكن لم يقتنع
أحد وخرج الفدا مشيعاً بالسخط وهو يلعن الساعة التي تعرف فيها
بعلى الشاعر .

فى الأقصر وأسوان

جاءت أجازة السنة الدراسية فى أحد الأعوام فى فصل الشتاء وهو الوقت المناسب لزيارة الأقصر وأسوان وفيهما من آثار الفراعنة الشىء المدعش الذى يقصده الناس من أطراف الدنيا ففكرنا فى القيام برحلة خاصة إلى هناك : الإخوان علوى جفرى وعبد اللطيف جمجوم وكانب السطور هذه وأحضرنا أورافا من الكلية أن عندنا رحلة رسمية وأن التكليف للشخص خمسة جنيهات ، وكانت هذه الأوراق [مفبركة] حسب المعتاد .. وذهبنا لناخذ تذاكر بالقطار .. والنظام فى الأجازات خصم نصف قيمة التذكرة ، فياخذ الراكب تذكرة للذهاب ولكن يسمح له باستعمال نفس التذكرة فى الإياب .. وفكرنا أن نأخذ تذاكر للأقصر فقط ثم نفكر فى الوسيلة التى نركب بها من الأقصر إلى أسوان وكنا نجهل بعد المسافة وأنه لا توجد مواصلات منتظمة إلا بالقطار .. وقلنا : إذا لم نجد إلا القطار فيمكننا أخذ تذاكر مخفضه من الأقصر إلى أسوان دون أن يكون هناك فرق .. ووصلنا إلى الأقصر .. وكانت الجيوب لا تزال عامرة فلم يعجبنا إلا فندق [سافوى] الارستقراطى .. وقدموا لنا العشاء العاخر والعادة تقديم [زبادى] بها ماء مع الفاكهة لغسلها وغسل الأيدى ولكننا ظننا الماء نوعاً من الحلوى وبدأنا نشرب بالملاعق والناس والسفر جيه يضحكون .. وفى اليوم التالى استأجرنا حميراً لزيارة الآثار ، وكان حمار علوى قصيراً فأصبحت رجله

تمك الأرض .. وأخذنا نداعب حماره باغته الخاصة فأوقعه الحمار على الأرض .. ولما أردنا السفر من الأقصر إلى أسوان ، علمنا أن التذاكر هنا كاملة وايسست مخفضة وشربنا المقلب .. واهتزت جيوبنا المتواضعة لهذا الحادث الجلل وقررنا أن نتخذ لنا شعاراً لباقي الرحلة وهو [حاسب] . فما يكاد أحدنا يحاول شراء شيء زائد أو يريد الفنجرة حتى ينطلق صوتان في وقت واحد [حاسب] . وفي أسوان لم نجد مكاناً في الفنادق إلا في [جراند] و [كنز اکت] ولم تكن النقود التي معنا تكفي لليلة واحدة في أحد ذينك الفندقين وأخذنا نستعطف أصحاب الفنادق دون جدوى وأخيراً لجأنا إلى مدير أسوان وكان يشهد مباراة رياضية فأرسل الرجل معنا من يوصي أصحاب الفنادق وكان الليل قد أقبل وأخيراً رحلنا صاحب فندق وتعمد بإعطائنا طراريح على أن نبيت في دهليز الفندق فمرحنا وشكرنا للرجل مروءته . وقضينا الليلة في ذلك الدهليز المعتم ، وفي الصباح أدركنا أننا لم نكون وحدنا في الدهليز ، فقد كانت تشاركنا في المبيت فتران كبيرة ، رأيناها تقفز فوقنا وحمدنا الله لأننا لم نشعر بها في الليل فقد كنا في نوم عميق بسبب تعب الرحلة .

البادكوك يحمل السلاح

للمزمل البادكوك نوادر لطيفة سأذكر جانباً منها هنا علاوة على ما سبق في هذه المذكرات ، أو اختتمها بقضية حمل السلاح ... على أن الذكرة قد تسعفني بمجموعة أخرى في المستقبل ..

كان من عادة البادكوك - ونحن في مدرسة البعثات بمكة - أن يرتدى آخر ملابسه عصر كل يوم ويقصد إلى المسعى لقضاء المساء مع بكر باناجه .. وكان البادكوك عند الحميدية عندما أمسك به شرطى واقتاده إلى الحميدية لأن ذقنه مخلوقة، ولم يخرج البادكوك إلا بعد أن أسعفه الشيخ العريف بالغرامة وقدرها سبعة ريالات ونصف وكانت مبلغاً جسيماً في ذلك الوقت .. وفي ذلك يقول البادكوك من قصيدة فكاهية طويلة :

سبحان ربك رب العزة الصمد
ماذا أصبت به في ليلة الأحد
..... وقلت اليوم تمشية
وكنت أحسب أن المنع لم يرد
لبست بدلة هايليف ومنظرني
ورحت أمشي إلى المسعى على تؤد
وبينا أنا ماش إذ أتى رجل
وقال هيا معي في شرطة البلد

كلم عميمى [عليا] فى مخالفة
ماقال ذلك إلا مت فى جسدى

ثم يقول :

وقلت للضابط المشغول فى هلع
ياضابط الجند لا تنظر إلى أحد
فقال: إما إلى سجن تبيت به
أو حالا ادفع رسوم الذقن وابتعد
وعند ذاك دفعت السبع يتبعها
نصف وحالا مضى لى البية على السند

والبادكوك ينتابه أحياناً ذهول . كان الوقت شتاء فذهب إلى الكلية
فى مصر وهو يلبس سروالا طويلا له دكة تحت البنطلون ، ولكنه نسى
تزير البنطلون ، فكان منظراً عجيباً فى الكلية والدكة بارزة أمامه من
فتحة البنطلون .. ومرة أخرى كنا خارجين وانتظرنا أحمد شطا ليلبس ،
وعند ذلك انفجر البادكوك ضاحكا ولما سألناه عن السبب قال إن أحمد
يلبس الكلسون الفئلة مع جعل فتحتهما إلى الأمام [مع أن هذا
هو الطبيعى] .. ولكن ظهر لنا أن البادكوك حتى ذلك اليوم كان يظن
أن الوضع الطبيعى هو لبس الكلسون مع جعل الفتحة فى الخلف
لطرذ الغازات .

وفى أحد الأيام اضطر البادكوك لحمل السلاح .. تضارب مع البغدادى
وكنى وأسعد عزوز نحرش . وبدأ البغدادى المصارعة بحركة بارعة ،

فزع نظارة البادكوك وألقاها جانباً وأصبح البادكوك لا يرى . و الطبع
تغلب عليه البغدادى ، وكان البادكوك يصيح فينا : [أعطوني النظارة]
ويضربنا ويرفشنا . ثم هرب البغدادى وأقفل غرفته خوفاً من انتقام
البادكوك . . فقد أخرج ، طواة من درجه وجاء يريد كسر باب غرفة
البغدادى ، فوقفنا أنا وأسعد نحمة بعد أن تطور الأمر والبادكوك
يضربنا بيديه ، والبغدادى يقرأ الشهادتين وماتيسر من القرآن . . وأخيراً
هدأ البادكوك وظل البغدادى وقتاً طويلاً يخاف من البادكوك ، ويخشى
من التمليح



مشروعات زواج

كان أسعد جمجوم موفقاً نكحاً طبة للبعثة .. كان يتمشى مرة على النيل مع صديق ، وخطر له فجأة أن يذهب إلى أحد البيوت في الروضة للخطبة . طرق الباب ودخل قبل الإذن له فوجد رب الدار يصلي المغرب ؛ فنوى الصلاة خلفه ، ولم يسع صديقه الداهل إلا أن يتبعه . وسلم الرجل ثم التفت وفوجيء بهذه الجماعة الدخيلة . . . وحبك أسعد الدور فقبل يد الرجل واضطر صديقه مرغماً أن يتبعه ، ثم تكلم أسعد ؛ وبلا مقدمات طلب القرب من الرجل لصديقه ، وعقدت الدهشة لسان الصديق ، وخجل أن يتنكر أو يتكلم أو يتراجع . ونظر الرجل إلى ملابسهما وإلى الطريقة التي أتيا بها وردهما رداً كريماً .. وقد أغفلت إسم الصديق ، لأنه متزوج الآن أما أسعد [فقطوع راس] لا يهمه شيء .

والبادكوك كان يبنى نفسه بزواج قريبة له . . . وكان حين يذكروها لا يقول إلا [خطيبتى] . . . ثم خطبت الخطيبة لزواج آخر وتزوجت وأصبح بادكوك لا يتحدث عن هذا الزوج إلا [بزواج خطيبتى] ثم رشحنا له بنت مليونير ليتزوجها . . . وكانت صورتها تظهر دائماً في الصحف . . . ومرة أخرى تزوجت هذه الخطيبة ، وتقبل البادكوك التعازى يوم أن أعلنت الصحف خطبتها .

والح أسعد على الشيخ عمر رفيع في الزواج وتولى الخطبة له ، وأخذ

يدور معه من بيت إلى بيت ، والشيخ عمر يبدى لأسعد ملاحظات
طريفة لا تتسع لها المذكرات . . وأخيراً وفق أسعد لزواج الشيخ
عمر من بيت الجمجوم المقيمين بمصر ، وذهبنا لكتب الكتاب وكان الحفل
بسيطاً مقتصرأ على الشيخ عمر وأسعد والبادكوك وعبد الله شرف
وبعض أقارب العروس وأنا . . ورأيت أن أكبر يوم الشيخ عمر
فأخذت ورقة وقلماً لأكتب أبياتاً ، وأعطيتهما للبادكوك ليحسها ،
ولكن الشيخ عمر اعترض ظناً منه أنها من نوع الشعر الذي ألقيناه
نشيداً في البعثة عن الشيخ عمر والشيخة . . ولكن بادكوك طمأنه
وأخذ يحس هذه الأبيات ، والمأذون مبسوط يتمايل يمينا ويساراً
وهو يقول [الله طيب] والبادكوك مذهجم وكأنه مغن محترف ويقول:

تمثل فرقداً وبدا هلالاً وأوفى في سما العليا مثالا
أصاب من المكارم كل خير ونال من الفضائل واستظلالا
لتهنك زوجك الفضلى وبيت
من الجمجوم قد زان اكتمالا
ومتعت البنين وعشت دهرأ
ودمت منعماً عصراً طوالا
وانبسطت أسارير الشيخ عمر ؛ وتم الحفل في سلام .

الزيارة المزعومة

كان جميل مردم بك سفيراً لسوريا بالقاهرة . وأعلنت الصحف أنه عين سفيراً لدى المملكة السعودية إضافة إلى سفارته في القاهرة ، وأنه يستعد للسفر إلى المملكة لتقديم أوراق اعتماده . . وكنا ذات ليلة نتمشى أنا وأسعد جمجوم والكعكي ، واتفقنا على أن يَلم أسعد البعثة في التليفون في صباح اليوم التالي ويخبرهم أنه موظف بالسفارة السورية ، وأن جميل بك سيزور البعثة في العصر بمناسبة سفره إلى المملكة . . واهتزت البعثة للنبا ، وأخذ الشيخ عمر رفيع في الاستعداد . . كلف أسعد بعمل زينات كهربائية . . وطلب من اللجنة الأدبية إعداد برنامج مناسب . . وبعث إلى السوق لشراء حلوى وجانوه لحفل الشاي . . وأحضر بعض الأثاث من بيت السيد ولي الدين أسعد ، وكسرت يومها طرايزة رخام من هذا الأثاث . . واجتمعت اللجنة الأدبية برئاسة حسن فقيها وأعدت برنامج الحفل . . وجادت قريحة مصطفى نصر الدين بقصيدة ، ولكن بعد إعداد البرنامج فرفضتها اللجنة ، وأخذنا نحمله ضد اللجنة وضد حسن فقيها بالذات ، فتحمس وقال : إنه سيلقى قصيدته على رغم اللجنة ، ثم رأى أن يشكو اللجنة للشيخ عمر . . ولكن الشيخ عمر لم يوافق على قصيدته ، فلما ألح عليه مصطفى قال الشيخ عمر : [لو كنت سبحانه فسوف أمنعك من إلقاء القصيدة] .

وجاء العصر وكان الاستعداد تاماً . . ونحن نشارك الزملاء
في الاستعداد ، وقد ارتدينا ملابسنا عدا الكعكي الذي كان بملابس
البيت . . وكان كلما غلبه الضحك دخل غرفته وأوصد الباب وضحك ،
ثم خرج ليتفرج على الاستعدادات ، ورابط الشيخ عمر عند الباب
في الوقت المحدد ، وكان يرافقه البادكوك وأسعد . . ومضت الساعة المحددة
ولم يأت الزائر ، ولما طال الانتظار طلب الشيخ عمر السفارة السورية
تليفونياً فردوا عليه بأن جميل بك [مرشح بالفرشة] فلم يفهم الشيخ
عمر ما يقصدونه ، وطلب من هشام الرومي أن يفهمه فقال : إنهم يقولون
إن جميل بك مزكوم ونائم في الفراش وإنه لم يعط هذا الموعد للزيارة ..
وخرج الشيخ عمر وهو يسب ويلعن وحوله البادكوك وأسعد ، وأعلن
الخبر للطلاب فأنهالوا على الحفلة أكلاً .. والشيخ عمر لا يزال في سخطه
وسبابه ، وكان يقول : [طيب قولوا لي ياناس المصاريف التي صرفناها
نقيدها على أي بند ؟] .



أصول الكشاف

كان الطريق قد سبقنا إلى الابتعاث فوجدناه في مصر، وهو أكبر مناسنا وله لحية محترمة. فتوثقت بيننا أواصر الحب الممزوج بالاحترام وكان طالبا في كلية العلوم وكنا في إعدادى الطب الملحق بكلية العلوم، وكانت للطريق شخصية محبوبة بين الطلاب. وكان يساهم في نشاط الكلية، ويكتب في صحيفتها بتوقيع [أبو صخر] وقد سمى ابنه صخرأ فيما بعد.. وأراد الطريق أن ينقل جانبنا من نشاطه إلى البعثة، فأخذ في تدريبنا على أصول الكشاف وواجباتها، ورأى أن يجمع بين التدريب النظرى والتطبيق العملى، فأقننا معسكراً في حلوان في النادي الرياضى التابع لوزارة المعارف.. ونصبنا خيامنا وأخذنا في أسباب اللهو البرى والرياضة حتى إذا جن الليل وسكن الزملاء، تحركت الخيام وخرج من تحتها جماعة الاشقياء، فأخذوا ينزعون الخيام فتغطى النائمون فيها بعد أن يلقى على النائمون ما يتيسر من التراب والحجارة الصغيرة. وكانت خيام الطريق وباحجرى في مقدمة الخيام المقصودة. وثار ضجة وأخذ باحجرى يسمعنا من السباب المعهود في سوق العلوى بجدة، كما أخذ الطريق ينتقد هذه الروح ويلقى علينا درساً جديداً في أصول الكشاف وآدابها وظننا أن الموضوع انتهى عند هذا الحد ولكننا فوجئنا في الليلة التالية باقتلاع جميع الخيام وعندما بحثنا وجدنا أن الطريق هو الذى قاد الحملة في تلك الليلة وقد أعجبه هذه الطريقة الكشفية الحديثة، وأدخلها في

فصول الكشف وآدابها .. ثم اتفقت الحبل؛ وأصبحنا نتبع طرقنا المألوفة
في رحلاتنا وما كان أكثرها .

ويوم تخرج الطريق أقنأ له حفلا في دار البعثة ، وألقيت الخطب
والقصائد المناسبة .. وألقيت زجلا أوله :

في مرة جيت م الكلية وجدت زينة عند الباب
إخوانا في روحه وجيه ومشغولين بسؤال وجواب
والى نازل لى بطاقيه والى يطرقع بالققباب
فقلت خير إن شاء الله كان

أول ما جاني على بالى إن العصابة عاملة هجوم
فقلت بالله يا أبو على دى فرصة عمرها ما تدوم
ورحت أجرى طوالى على الزعيم أسعد جمجوم
وقلت يا الله يا أبو سعدان

قام قال لى أعمل لك أنا إيه هنى الطريقى يا ابنى روح
فقلت يا سيدى على إيه قال لى نجح وبقى مشروح
فرحت أجرى دغرى عليه هنيته بلسانى والروح

وبقيت كده مبسوط فرحان

ثم تدرج الزجل إلى حياته معنا في البعثة ، ثم وجهت إليه نصيحة
عندما يعود إلى المملكة ليعمل [وهو متخصص في الجيولوجيا]
فقلت :

ولما توصَّل أول يوم ويسألك إيش الأخبار
إن قلت أنا عندي دبلوم في الأرض أو علم الأحجار
يروحوا مدينك قدوم وتسير قرارى تسقى نهار

بريال حرش أبيض رنان

وإن قلت أنا أخصائي في الزيت وفيه قضيت كل التعليم
ويا ما تعبت ويا ما لاقيت حياتي سهد وجهد عظيم
شوفوا لي شغل أفتح به بيت يروحوا مدينك لغنيم

تلعن وتقول ياريت ما كان



النصائح التناسلية

وجدنا في أحد الكتب القديمة فصلاً يحوى بعض النصائح التناسلية،
وفية بحث طريف عن الطرق والأساليب فقررنا أن نطبع منه عدداً
من النسخ نوزعها على موظفي وطلاب البعثة لتعميم الفائدة .. وذهبت
مع أسعد جمجوم والكعكى إلى محل خاص للطباعة على الآلات الكاتبة
في شارع عبد الخالق ثروت .. وقدمنا الأوراق لصاحب المحل لطبعها
وعندما بدأ الرجل في القراءة انسحب أسعد والكعكى ووجدت نفسى
منفرداً فتشجعت وبقيت ، وأخذ الرجل يقرأ ثم يختلس إلى النظرات
فطمأنته أن هذه إنما هى للدعابة مع إخواننا الطلاب فافتنع .. وخرجت
لأجد أسعد والكعكى خارج المحل مستغرقين فى الضحك .. وعدنا فى
اليوم التالى وأخذنا الأوراق وأودعناها البريد لجميع من فى البعثة من
السيد ولى الدين حتى أصغر طالب .. وأضفنا على النشرة حاشية [لزيادة
الاستيضاح إتصلوا بعنوان كذا] وكان هذا العنوان هو سكن البادكوك
مع أبناء خاله عبد الله وحامد باغفار . ووصل البريد إلى البعثة وبدأ
التوزيع على الموظفين لأن الطلاب كانوا فى كلياتهم فى الصباح أما الأستاذ
حمزة شحاته [وكان محاسباً للبعثة] فقد إمتدح النشرة وما فيها من معلومات
قيمة واستقبلها بروح رياضية لم تخل من تعليق ظريف .. وأما السيد
إبراهيم الوسية فقد ترك ما عنده من أوراق وجمع صغار الموظفين والخدم
وأخذ يقرأ عليهم النشرة بصوت عال وبضحكاته وفكاهاته المعروفة ..

وأما الشيخ عمر رفيع [مدير الإدارة] فقد ابتسم لما فيها من معلومات
طيبة وكان على [وش جواز] .. ولكنه ما كاد يعرف أن عشرات من
هذه النشرة قد أرسلت للطلاب حتى ثار وأمطر الناشرين بسبابه المعهود
وجمع النشرات فلم تحصل لأحد من الطلاب .. وأما السيد ولي الدين
[المدير العام] فقد حضر إلى البعثة في المساء وأخذ يتصفح الرسائل التي
حملها إليه البريد وكانت النشرة بينها ، وصادف أن كان أسعد واقفا عنده
وقتها ، فأخذ يقرأ النشرة وكلما انتهى من جملة اختلس نظرة لأسعد من
تحت الورقة فلما انتهى منها مزقها وهو ساكت وألقى بها في سلة المهملات
وأما البادكوك وأقرباؤه فقد تلقوا نشراتهم لأنهم كانوا يسكنون خارج
البعثة وسروا لما جاء فيها من معلومات ومن نصائح .. وقرروا أن يستزيدوا
من هذه المعلومات وأخذوا في الاستعداد لكتابة خطاب إلى العنوان
الذي حددته النشرة لطلب نصائح أخرى وأحضر البادكوك النشرة
ليكتب العنوان على الظرف .. واكتشف أن العنوان لم يكن سوى بيته
فارتدى على الكرسي وهو يقول [حسبي الله] ثم استغرق هو وأقرباؤه
في ضحك طويل ..

مع الطلاب

كانت لنا مع إخواننا طلاب البعثة مظاهر نشاط متعددة ، وكان للبعثة اتحاد للطلاب ساهمت في إنشائه واشتركت في لجانه وكان يضم لجنة أدبية ولجنة للرحلات ولجنة لمراقبة إعاشة الطلاب في البعثة وغيرها وكان السيد ولي الدين أسعد مدير البعثة يشجع إنشاء هذه اللجان ويعطيها صلاحيات طيبة في مراقبة شؤون البعثة ، وكان للبعثة حفلات كثيرة ، أهمها الحفل السنوي لتكريم الخريجين ، ومن أهم الحفلات التي أقمناها في البعثة حفلة تكريمية لسعادة السيد محمد طاهر الدباغ مدير عام المعارف الأسبق وكان قد حضر إلى مصر للاستشفاء بعد أن انتقل من المعارف إلى مجلس الشورى فأقمنا له حفلاً كبيراً قدمنا فيه لوحة تذكارية وقد سر سعادته لهذا التقدير الذي لقيه من طلابه وكان هذا بعض الواجب من الطلاب نحو رائد عظيم من رواد العلم في البلاد .

وبجانب هذا النشاط كان لنا نشاطاً آخر مع الطلاب خارج دار البعثة .. كنا نحب حضور المحاضرات والمناظرات خاصة في كلية الآداب بجامعة القاهرة ولعل جامعة الرياض تحقق هذه الأمنية التي يتمناها الناس لشغل أوقات الفراغ بما ينفع .

وكان لزملائنا الطلاب نشاطاً آخر كنا مجبرين على التفرج عليه .. كنا في إعدادي الطب وكانت محاضرات المرحوم الدكتور محمد ولي

يحضرها طلاب الجامعة من طلاب الطب وغيرهم وكانت المحاضرات تلقى باللغة العربية في علم الحيوان . . . وكانت المحاضرات تتميز بطابع المرح ويستغلها الطلاب وتمر المحاضرة بين التصفيق والصراخ والغناء ويجهر بعض الطلاب زمامير [وطار بشناشن] وينفعل الأستاذ وتمر المحاضرة دون أن نفهم شيئاً .

وكثيراً ما كان الطلاب يمتنعون عن الدروس لأسباب تافهة. ويتدخل البوليس ويطاردهم وكثيراً ما أصابتنا هراوات البوليس ولا يكاد الطلاب يتركون الجامعة حتى تغص بهم دور الحفلات الصباحية . . . وكثيراً ما كانت الجامعة تغلق لأيام طويلة ويتعطل التدريس ولكن المقررات هي المقررات والامتحان هو الامتحان ويتأرجع مصيرنا في الامتحانات مع مصائر الطلاب ، ولم تكن لنا ناقة ولا جمل في هذه المصائر التعسة .

لقد كانت سنوات مرح ومشاكل . . . وإن ذكرها لمن أحب الذكريات . . . وكثيراً ما يحن الإنسان إلى الماضي، ولكن هل من عودة ؟



مزار في سفينة باخرة

كنا بمجموعة من طلاب البعثة اعزمننا العودة إلى الوطن لقضاء
أجازة الصيف .. ولم تكن الطائرات قد بدأ استعمالها في المواصلات
بالصورة الحالية.. ذهبنا إلى السويس وبحشنا عن أوتيل متواضع فوجدنا
واحداً في شارع فرنسا ، وبقينا فيه ثلاثة أيام ننتظر الباخرة .. وكان
من المجموعة : أمين جاوة وأسعد جمجوم وعلى غسال وحبيب كوتر
وزين العابدين الدباغ ومحمد بادكوك وغيرهم .. وكانت صاحبة الفندق
امراًة عجوزاً أجنبية .. وكانت تعاملنا بقسوة وتطفئ الأنوار في وقت
مبكر حتى لانسهر .. فأردنا الانتقام منها وأخذنا نقضي حاجتنا الخفيفة
في البلكون وفي إحدى الليالي علق أسعد قبقاباً في السارية الخاصة بالعلم
وهذا يعرض الأوتيل لعقوبة شديدة . وكنا كلما تأزم الموقف بيننا
وبينها أرسلنا لها البادكوك فقد كانت علاقتها به طيبة ، ويجلس البادكوك
بحانها ويقول لها [أنت تشبهين أمي] فتفزع أساريرها وترضى عنا .
وكنا نتمشى يوماً في شوارع السويس وقابلنا بعض أهالي ينبع ونحن
نرتدى الملابس الأفريقية فسألناهم السؤال التقليدي [ينبع فيها منارة]
فدهشوا لأن هذا السر قد انتقل إلى السويس وظنوا أننا مصريون
ومع ذلك فقد أجابونا بالإجابة التقليدية أيضاً .. وأخيراً ركبنا الباخرة
بعد أن اشترينا مقاضى الطريق فقد كنا نركب في الدرجة الثالثة على سطح

الباخرة . . . وفي الباخرة بدأ الانسجام وكنا في شهر رمضان ولكننا كنا مفطرين لأننا على سفر . . . وكان معنا حاج هندي يحب أن يقرأ القرآن بصوت يظنه رخياً فما نكاد نقول له حتى وهو نائم [قرآن شريف] حتى يهب جالساً ويأخذ في التلاوة ، وكنا لا نتركه ينام أبداً ، ولم نكن نحن ننام أيضاً فقد كنا في شغل شاغل بالمقالب والأذية . . . ومن الطريف أنني زرت مع البادكوك الأستاذ أحمد قنديل بمكتبه في جدة ودخل علينا الحاج الهندي وكدنا أن نقول له على الرغم منا [قرآن شريف] وتبادلت مع البادكوك النظرات ولكننا كتمنا شعورنا على مضمض . وفي اليوم الأخير للرحلة بقيت عندنا بعض مواد التموين والأثاث فقررنا أن نقيم مزاداً ونبيعها ونتقاسم القيمة . . . وكان من ضمن هذه المواد قلتان كبيرتان مما يستعمل في مصر لتبريد الماء ولها بزبوز فأغرينا زين العابدين على شرائهما بعد أن عددنا له فوائدهما وما كاد يدفع القيمة حتى ألقينا القلتين في البحر . . . أما البادكوك فقد اشترى قبقابين كبيرين بخمسة قروش مصرية بينما يساوي القبقاب الواحد في جدة ريالاً ونصفاً وكان فرحاً بها ويتوقع أن والدته - رحمها الله - سوف تفرح للحصول على هذين القبقابين . وهكذا انتهت هذه الرحلة الطريفة وهيئات أن تيسر لنا المتعة التي وجدناها في هذه الرحلة مرة أخرى .

محاكمة أسعد جمجوم

كان يوم الحفل السنوي للخريجين في دار البعثات بهيجاً في ذلك العام، وقد رأس الحفل سمو الأمير عبد الله الفيصل، الذي كان يزور مصر في ذلك العام. ومن أهم مظاهر ذلك الحفل قصيدة رنانة ألقاها الأستاذ حمزة شحانه وهو وإن كان من نخول الشعراء فقد كان قليل الإلقاء ولذلك كان عظيماً في إلقائه وفي معاني شعره في ذلك اليوم. وكان بين الخريجين في ذلك العام أسعد جمجوم فأردنا تحيته على طريقته الخاصة ولذلك وضع بين برنامج الحفل [محاكمة أسعد جمجوم].

بدأت المحاكمة وكانت المحكمة مشكلة برئاسة أحمد المبارك وعضوية حسن بابصيل وعضو آخر لا أذكره الآن ومثل الإدعاء العام عبد الله مراد ومثل الدفاع أنا والبادكوك وثالث لا أذكره الآن وظهر أسعد جمجوم في طرف المسرح وقد أقننا حوله قفصاً من أقفاص الدجاج لأننا لم نجد غيره.. وبدأ عبد الله مراد مرافعة بالجملة التقليدية: [حضرات القضاة. إن هذا المجرم الواقف أمامكم .. إلخ] ثم أخذ يعدد حوادث أسعد ومقالبه وأعمال العصابة ويطلب التشديد في عقوبته وكان من ضمن حوادثه إشاعة خبر وفاة الشيخ حامد رويحي الذي كان بين المدعويين للحفل مع عدد كبير من السعوديين الذين كانوا بمصر.. ثم أخذت أدافع عن أسعد وأبين حسن نيته وأنه كان يريد إظهار شعور الناس نحو الرويحي ونحو عمر عقيل الذي سنزوي حادثته في فصل خاص من هذه

الذكريات .. وكان أسعد مرشحا لإدارة المدرسة الصناعية بجدة ، ولذلك
ختمت مرافعتي بأبيات أذكر منها ما يلي وأرجو أن يقرأها تلاميذ
سبويه بشيء من التسامح .

(ما على مثلك باس يخرج الدهر ويأسو)
وأنت يا ابني روح اشغلك ربك يرزق كل ناسه
بكره تنجح في الصنائع والتلامذه لن يقاسوا
اللى جيلك ماشى حافى واللى جى من غير لباسه
قل لهم مصنعنا هذا جردوه من فوق اساسه
اللى يخرج شال له فارة واللى راح وف لإيده فاسه
إلى آخره ..

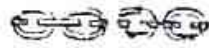
ثم أصدرت المحكمة حكمها وهو يقضى بالبراءة لأسعد ، وبإحالة
أوراق الشيخ حامد رويحي للفتى ..



قصة زواج

تمت خطبتي وأنا في المدرسة الثانوية ، والتحقّت بالجامعة وأنا خاطب مع وقف التنفيذ . وفي أول أجازة صيفية لم أعد إلى المملكة لأنني كنت أستعد لاختبار الدور الثاني . فلما جاءت الأجازة الصيفية الثانية ولم يكن لدينا اختبار وكان لابد من عودتي إلى المملكة ، كتبت لوالدي أنني أُرغب في قضاء الأجازة الصيفية عندهم ، ولكن على شرط عدم إتمام الزواج إلا بعد التخرج ، فقد كانت هناك دلائل على أنه في النية عقد مجموعة زيجات في العائلة . فكتب لي الوالد يطمئني بأن ذلك لن يتم وأن لي مطلق الحرية في الزواج أو التأجيل . جئت مطمئناً .. وبعد قضاء جزء من الأجازة بدأ الاستعداد للزواج وكان يضم أربعة عرسان وأربع عرائس من العائلة وكنت واحداً منهم .. فذكرت الوالد بالوعد .. ولكن العائلة أصرت على أن تتم جميع الزيجات أو تؤجل جميعها .. وأخذ الوالد يبذل لي النصح بطريق مباشر مرة وبواسطة الأقارب مرة أخرى .. وأخذت في الاعتذار خاصة وأن الزواج كان يعني بالنسبة لي قضاء بقية الأجازة فقط مع الزوجة ثم العودة وحدي لإتمام الدراسة ، فلم تكن حالي تسمح باصطحاب زوجتي معي إلى مصر .. وهذا أهم ما كان يجعلني أعارض في هذا الزواج بالمراسلة . ولجأت إلى ابن عمي - رحمه الله - للتدخل ولكن دون فائدة ، وتطور الموضوع وأصبحت طاعة الوالد ورضاه في الميزان .. ولذلك قبلت الزواج .. وأمضيت شهر العسل في

جدة وكان خلال شهر رمضان ، وبذلك أصبح لى دون خلق الله نصف
شهر عسل فقط .. واعدت لإتمام دراستى .. وكنت أعود إلى
المملكة فى الأجازات الصيفية فقط حتى وصلت إلى السنة الدراسية
الرابعة حيث لحقت بى زوجتى ومعها إبنتنا الأكبر .. وقد استقرت
أحوالى الدراسية بعد ذلك .. وانتظمت مذاكرتى بعد الحبس
الاضطرارى فى البيت . ورزقت بنتاً وأنا أودى الامتحان النهائى ورغم
ذلك فقد أديت هذا الامتحان بنجاح تام ، وحطمت قول القائل :
[ذبح العلم بين الاختلاط بالنساء] لقد كانت قصة فيها عبرة فإنه رغم
ظروفى الخاصة آمنت بأن زواج الأولاد يجب ألا يتم قبل انتهاءهم من
الحياة الدراسية [فليس المخاطر محموداً وإن سلما] .



حادث حليل ؟

وأى حادث يمكن أن يفوق خبر وفاة السيد عمر عقيل ؟ [أمد الله في حياته] .. لقد كانت تلك الشائعة فاجعة كبرى ، أظهرت ما للسيد من مكانة عظيمة في قلوب أبنائه ومريديه .. وكانت مبعث سرور ورضا في نفس السيد. أما كيف بدأت القصة ، وكيف انتهت فهذا ما سنقدمه في هذه الحلقة .

كان سمو الأمير عبد الله الفيصل يزور مصر للاستشفاء وله في قلوب الطلاب مكانة كبيرة .. فأقام طلاب البعثة حفلة كبرى له في دار البعثة .. وأصر السيد عمر يومها على إلقاء خطاب ارتجالي ، فالتقى هذا الخطاب ، وكان مليئاً بالحكم والمواعظ [لا أراك الله] وكان من أطرف ما قاله [لاني لا أذيع سر إذا قلت ..] وسكت فاشترأبت الأعناق لتعرف هذا السر الخطير فإذا به يكمل الجملة كما يلي [إذا قلت إن الامتحان قد أصبح على الأبواب] .. وانتهت الحفلة فأقام لنا سمو الأمير حفلة شيقة في القناطر الخيرية وألقينا الخطب والقصائد والأزجال الفكاهية . وكنا نعدد المقالب التي عملناها في مدير البعثة والمراقب ، فكان سمو الأمير يلتفت إلى الأستاذ عبد الحميد حمدي مراقب البعثة كلما جاء ذكر مقلب فيبادر الأخير قائلاً (لا .. مش أنا ، لقد عملوا هذه المقالب مع غيري من قبل) .. فسكتنا وقد عزمنا على أن نتحف هذا المراقب الناصح بمقلب

تاريخي لا ينسى ، وجاء يوم شم النسيم ، فذهبنا في صباحه إلى الإسكندرية
أنا وأسعد جمجوم واثنان من أقاربه .. وفي الطريق قال أسعد : إنه يمكن
في إرسال برقية البعثة من الإسكندرية يخبرهم فيها بوفاة الشيخ صادق
كردي مرافب البعثة في الإسكندرية فاعترضت ، لأن للشيخ صادق كثيراً
من الأقارب في القاهرة وحرام أن نزعمهم .. واخترت أن نبرق بوفاة
عمر عقيل وكان في بعثة الإسكندرية .. قضينا اليوم في البحر ولم نزر
دار البعثة هناك ولم يرنا أحد ، وبعد الظهر قصدنا إلى مكتب تلغراف
سيدى جابر ، وتهرب أسعد وأقاربه وتقدمت إلى شباك البرقيات
وقدمت برقية تقول [توفي عمر عقيل بحادث . الجنازة باكر والتوقيع
صادق كردي] وسألني عامل التلغراف عن الحادث فأخبرته أنه حادث
ترام وقدم لي التعزية اللازمة .. وعلى الفور عدنا إلى القاهرة فوصلنا
إليها قبل وصول التلغراف ، وقد زار أسعد البعثة في القاهرة وتأكد
من ذلك . وكنت أسكن مع أسعد في بيت خارج البعثة ولم يرنا أحد
ونحن ناسفرون إلى الإسكندرية .. ووصلت البرقية إلى دار البعثة
واضطربت . وكان المراقب قريب في مجلس الوزراء واهتزت أسلاك
التليفون بين القاهرة والإسكندرية لسؤال المستشفيات والمشارح ..
فعلم أن جثة وصلت للشرحة في المستشفى الأميرى وأن طلاباً من البعثة
السعودية بالإسكندرية سألوا عنها [وهذا لم يحدث طبعاً ولكن عامل
الشرحة في الإسكندرية ذكرها فجاءت مناسبة للقيام] .. وأخذ الدكتور
عمر أسعد يتصل هو الآخر بمستشفيات الإسكندرية للتأكد .. وأخيراً
استقر العزم ، وسافر المراقب ومعه إبراهيم وهاشم ومحمد الدباغ وغيرهم

ولم يجدوا فى ذلك الوقت وسيلة للسفر إلا قطار البضائع الذى يقف فى كل محطة ، ووصلوا فى وقت متأخر من الليل .. أما أنا وأسعد ، فقد كنا نغط فى نوم عميق فى دارنا ، وجاءنا الدكتور عمر أسعد والدكتور حامد هرسانى يسألون عن الموضوع فأبصرونا فقالوا ، لماذا لم تحضروا إلى دار البعثة أو تسافروا فقلنا أننا متعبون فقمضينا اليوم فى القناطر ومن الطريف أن أحد الزملاء شهد أنه رأى سيارة أسعد فى القناطر .. ووصلت الحملة إلى الإسكندرية فلم يجدوا أحداً فى البعثة فتأكد الأمر لديهم ، وبعد قليل وصل عمر وهو يترنم وقال (لقد شهدت الليلة نمرأ لطيفة) .. وعادت الحملة .. وأوقف المراقب مخصصاتى ومخصصات أسعد .. لقد أعطى موظف التلغراف بالإسكندرية أوصافى .. ولكن المراقب كان خجلاً من هذا المقلب الذى تورط فيه ، فلم تمض أيام حتى أعاد لنا مخصصاتنا .. واستعدنا ثقة عمر وجهه بعد أن أخبرناه أننا لم نقوم بهذا العمل إلا ليتأكد من ولاء الأصدقاء والمريدين .



القبض على عيسى المصائب

كان زيني العائش من الشخصيات اللطيفة في البعثة ، وكان له أقارب بمصر يزورهم في الأرياف ، ويأتي محملاً بالأغذية ؛ ولذلك كان هدفاً لأعضاء العصابة حتى أننا ذات مرة لم نجد في خزانته إلا بصلاً وملحاً فصادرناه .. وكتب مرة لحسين العطاس كتاباً كله تأنيب وتقريع ، وكان أسلوبه إنشائياً ، فأعاده إليه العطاس مع تأشيرة [شاطر في الإنشاء ٩/١٠] .. وفي بعض الأيام كان العائش يلبس بدلة رياضية ويمسك

مضرب التنس ويقول (اليوم عندي ماقش تنس) ثم يتضح بعد التحري أنه لا يعرف تنس ولا حاجة ، ولا يعرف من التنس أكثر من لبس البدلة وحمل المضرب .. وأحياناً يبكي ويلبس كرافطة سوداء ويقبل التعزية في قريب له ؛ ويظهر أنه لم يمت له أحد ؛ حتى أننا ضيقنا عليه ذات مرة وقلنا له: يجب أن نذهب معك للعزاء ولبسنا كرافطات سوداء وأخذ يدور بنا من شارع لشارع حتى ذهبنا إلى دار فيها ماتم فدخلنا وخرجنا دون أن يعرفنا أو يعرفه أحد ، وتأكدنا من أنه لا يعرف الميت وليست له أية صلة أو قرابة لعائلته .. لقد كان يحب أن يتظاهر بالحزن حتى يكون موضع عطف وإشفاق من زملائه .. وقد وفق ذات مرة في القبض على أسعد جمجوم .. اختبأ تحت السرير ، بعد أن أحضر بعض

ألمأ كولات من العزبة، ودخل أسعد إلى الغرفة ليأخذ الغنيمة فإذا بالعائش يظهر من تحت السرير ، ويلقى القبض عليه . . ولكنه كان زميلاً لأسعد في المدرسة فسرعان ما أوهمه أسعد بأنه مشترك في العمل مع سعيد آدم وعلوى جفري ولحسن ، المصادفة وجدا سعيد آدم في الدرج ينادى على أسعد ، فصحظن العائش وردح لسعيد آدم بما تيسر .. واتفق العائش مع أسعد اتفاقاً سرياً وخطيراً ، فقد تعهد له أسعد بإخباره عن حركات العصابة ووقت هجومها عليه .. وفي يوم بارد أخبره أسعد أن العصابة سوف تهاجمه في ذلك المساء .. وقضى العائش المسكين الليلة تحت السرير في انتظار العصابة ؛ وعند الصباح عرف أن الموضوع ما هو إلا مقلب كلفه قضاء الليل البارد تحت السرير .



مقال خفيفة .. ؟ !

كان عبد الله مراد مصاباً بداء التشنج - خاصة عند ما يكون مفلساً - وكان ينتهز فرصة الصلاة ثم يتشنج بعدها ، ويرق السيد ولى الدين لحاله ويعطيه سلفة على حساب الراتب . وكان زميلاً لأسعد جمجوم فى المدرسة ، وكان أسعد يستحمل منه شتائه وأذيته فى المدرسة لئلا يتشنج ، حتى إذا ركبنا على سلم الترام أخذ أسعد ينتقم ويشتم والمراد مغلوب على أمره ، وليس فى إمكانه أن يتشنج ويترك يديه الممسكة بالترام لئلا يقع .

وكان أسعد قد طبع مجموعة من الأبواك باسم (مكتبة الشناوى) ومجموعة أخرى باسم (على إسماعيل - تاجر وترزى) ، وكان لنا مخصص كتب فى البعثة ومخصص للملابس العمل فى الكليات العملية ، فكنا نلجأ لأسعد حتى نستنزف هذا المخصص ونأخذ منه فواتير تارة باسم مكتبة الشناوى وأخرى باسم على إسماعيل ونقبض الفلوس من البعثة . وكان السيد ولى الدين يعرف ذلك ولكنه يتجاهل . فمرة قدم له أسعد فاتورة من هذه الفواتير ، فما كان من السيد ولى الدين إلا أن اخرج من درجه طوابع دمغة وقال لأسعد : (لقد نسى الرجل وضع الدمغة) وألصق الدمغة وأمر بالصرف . ومرة كان فى السوق مع أسعد فقال له : (أرنى مكتبة الشناوى) فأخذه أسعد فى مشوار طويل حتى أتعبه وأخيراً وقف به عند دكان مقفول فى الأزهر وقال : إن هذه هى مكتبة الشناوى

ولكنها مقفلة .. ولعل أسعد يحتفظ ببقايا هذه الأبواب فيقدمها لطلاب
البعثات الحاليين .

ومرة كلم أسعد (حانوتي أقباط) بأن عنده ميتا وأعطاه عنوان
البعثة وحضر الحانوتي ومعه عربة النعش التي يجرها عدة خيول وهي
محللة ومزينة ، واستقبل حمزه أبو شذب البواب هذه الحملة بأسوأ
استقبال ، وذهب الحانوتي حانقاً بعد أن عرف أن هذه هي دار البعثة
السعودية ، وليس من المعقول أن يكون فيها ميت مسيحي ، وأن اسم
(الخواجا ولي أسعد) الذي أعطى له لم يكن إلا مقبلاً قصد به مدير البعثة .

وكنت مرة أسكن مع البغدادي في غرفة واحدة بعد أن تناولنا
العشاء حضرنا إلى الغرفة فإذا دخان كثيف ينبعث منها ورائحة حريق ،
فأخذنا نرمي فراشنا في الخارج وأسعد والزملاء يساعدوننا وتطوع
بعضهم برش الفراش والملابس بالماء ، ولكننا لم نجد أثراً للنار . وأخيراً
تبين لنا أن أسعد جمجوم أحرق خرقة في غرفتنا ثم أطفأها ولما ملا
دخانها الغرفة أقفل الغرفة بعد أن ألقى بالخرقة في دورة المياه ، وهكذا
خيل إلينا أن في الغرفة حريقاً كبيراً ولكننا لم نجد له أثراً وبتنا على
فرش مبتلة ونشرنا ملابسنا حتى جفت .

هل تعلم .. ؟

* أن البادكوك عند ما كان يشهد روايات يوسف وهبي ينخرط في بكاء مسموع كلما رأى منظرًا محزنًا، ثم لا يلبث أن يراجع نفسه ويقول بصوت مسموع (يا واد يا محمد بلاش قلة عقل ، هذا كله تمثيل في تمثيل) .. ثم لا يلبث أبو حجاج أن يميت ضحية أخرى ، فيعاود البادكوك البكاء ويعود المنظر السابق .

* وأن أول لقاء كان بين المنيعي ومحمد عبد الهادي كان في الطور وهما في طريقهما إلى مصر ، وتم التعارف في الليل وفي الصباح أكل عبد الهادي علفة من المنيعي وسامت العلاقات بينهما ولا تزال سيئة حتى الآن ، رغم مساعي أهل الخير .

* وأن محسن باروم أول ماحضر إلى مصر ، كنا نتمشى معه فلهج عربية حنطور وأحب ركوبها فقلنا له : لا مانع ولما سألنا بماذا ينادون سائق العربية في مصر ؟ قلنا إنهم يسمونه (أبو لبن) .. فأخذ الباروم يناديه بهذا الاسم بلغة عربية فصحي كعادته ، ولوح الحوذى بكر باجه وأنقذنا الباروم في اللحظة الأخيرة قبل أن يصيبه السكر باج .

* وأن معتوق باحجری كان أكبرنا سنًا وكان أستاذًا سابقاً لبعضنا كالبادكوك وحسن بخش، ولذلك كنا نسميه (الشيخ معتوق) وكان - جزاءه

الله خيراً - لا يضمن علينا بالتثقيف والتوجيه ، ومن ذلك أنه علمنا طريقة المشي المني وهي طريقة بسيطة تتلخص في أن يمشي الإنسان دون أن يحرك شيئاً من نصفه الأسفل باستثناء الرجلين طبعاً .. وتصور الباحث جري وهو يتأكد من أننا نطبق القاعدة .

* وأن السيد ولي الدين مدير البعثة كان يمنعنا من الخروج من البعثة يوم شم النسيم ، فنجلس في البلكون نتفرج على العربات الكارو وهي تحمل العوائل البلدية وهم يغنون ويرقصون على أنغام (سلم على) .. ويتحمس البادكوك وحسن بخش للمنظر فيتجزمان ويعيدان المنظر لنا في البعثة ونحن نفني (سلم على) ونصفق للزوج غير المتناسق .

* وأن حسين العطاس وشلته وهي عادة تتكون من أسعد جمجوم وحسن فقيها ومحمد علي البكري عندما كانوا يفلدون يمرون علينا بأوراق للتبرع لشخص وهمى مريض في المستشفى ويجمعون مبلغاً محترماً ، وذات مرة أخذوا من البعثة دواليب ومفروشات وباعوها في الكانتو وتقاسموا المبلغ الذي أخرجهم من أزمة مالية .

هل قصص .. ! ؟

أن بعض الزملاء مثل شرف كاظم وحسن فقيها وحامد هرساني كانوا يتفننون في الحديث باللغة المصرية ويغالون فيقولون : [الآرورة] يعنى القارورة و [الأعاع] يعنى القعقع و [المنأة] يعنى المنجة وغيرها .. وأن الباحجرى روى لنا أنه كانت عندهم جارية تصاب بالجنون فتأكل لحافاً بأكمله ..

وأن الطريقى كان ينام على سرير حديد دون مرتبة أو شرف بل على الحديد مباشرة إمعانا فى التقشف ..

وأن أحمد المبارك سمعه أبو السعود الإبيارى وهو يغنى فبشره بمستقبل طيب فى عالم الغناء — لا قدر الله ..

وأن محمد حسين أصفهاني كان فى مدرسة الفلاح بجدة مقرئ الفصل والمؤذن للصلوات ، أدام الله عليه نعمة التقوى

وأن حسنى بخش وعبد الله أبو العينين كانا يسكنان فى البعثة فى غرفة واحدة ولهما منهج واحد فى الحياة ، ويتعاونان فى كل شئ حتى فى عمل الطرنية .

وأن غرفة عبد اللطيف جمجوم كانت تفتش يوميا وتنش ملابسه بحثا عن مسروقات الأكل ، لأن أسعد جمجوم كان يسكن معه بالفرقة حتى أنه رجا مدير البعثة بأن ينقل أسعد إلى غرفة أخرى .

وأن حسن بابصیل كان یسكن فی غرفة وحده ، ففتح علیه البغدادی الباب فجأة وكب فی الغرفة كیداً من النورة البیضاء فانشرت فی الغرفة وخرج البابصیل وهو أبيض وتماسك مع أسعد جمجوم ظناً منه أنه غریبه .
وأن البابصیل أرسل مرة مع حامد دمنهوری زجاجات شربات هدیة لأهله فصادرتها البعثة ولم یستطع التفتیش أن یدل علیها ، وقد تبودلت علی أثر ذلك مكانبات بین البابصیل والدمنهوری وأسعد جمجوم تعد من عیون الأدب العربی . فی الردح ..

وإننا أثناء الغارات علی مصر كنا نذیر غارات أخرى فی دار البعثة كان هدفها حامد هرسانی وهو من الخوافین فكان یلجأ إلى سریره ویبتغی ویتلو أدعية الطواف والحج التي حفظها طیلة حیاته .

وأن الحاج راضی بقال البعثة - وكان رجلاً وقوراً متدیناً - ولكن الطلاب كانوا یشكون من معاملته ویدبرون له المقالب ، وفی ذات مرة كلبه أسعد جمجوم علی أنه السید ولی الدین وطلب منه الحضور لبیت السید ولی الدین ومعه فكه مائة جنية ، وحمل الرجل الفكه وسار ثلاثة کیلو مترات حتی وصل إلى بیت السید ولی الدین . وظهر أن الرجل الطیب كان هدفاً لمقلب ضحك له السید ولی الدین كثيراً ..

وأن عبد الحمید حمدی مراقب البعثة الذی لقی الأمرین من مقابلنا ، وكان ینقل عن الطلاب أخباراً ملفقة إنتهى كمراقب للبعثة بفضل جهود عدد من الطلاب ، وقد أسدل الستار علی مساعیهم الطیبة .

ختم .. ! ؟

وأخيراً تنتهى هذه المذكرات التى سردتها من الذاكرة ، والتى بدأت فى كتاب السيد محمد عطية بجدة حيث كنا نستعمل اللوح فى القراءة والكتابة ولحس السويك والسسم ، وانتهت فى الجامعة .. لقد كانت حياة لذيذة مليئة بالذكريات اللطيفة .. ولانى لتمثل لذاكرتى تلك الأمسيات الحلوة التى كنا نترقبها للعب كرة الشراب بجوار بيت القنديل بجدة لنعود إلى منازلنا ملطخين بالتراب والعرق .. وتستعرض الذاكرة شريطاً آخر فى دار البعثة بمصر ؛ ونحن ندبر المقابل ونردد أغنية [نبوية أيا نونو] فنفسد على زيني العائش جلسته الهادئة .. ثم يمر بي الاستعراض على أسعد عزوز وهو مغطى بالأغطية أيام البرد لا يبرح دار البعثة ليلاً أو نهاراً .. أو وهو فى الباخرة دائخ لا يتناول طعاماً ويلازم غرفته حتى إذا هدا البحر وصعد معنا على السطح تظاهرننا بالدوخة وتمايلنا يمينا ويساراً فيدوخ ويعود مسرعاً إلى غرفته .

ولقد أمدنى الزملاء بكثير مما حوته هذه المذكرات ، وكان البادكوك فى المقدمة فذكرنى بكثير من الحوادث حتى التى تخصه ، فلما كثر ذكره بادرنى ببرقية يقول فيها [.. الناس أزعجونى تليفونيا وحضورياً يسألون عن البادكوك والكلسون ودكة السروال ومن هو ابن سيناء فهوون رعاك الله] . وأعتقد أن كثيراً من الذكريات الطريفة لم أشهدها

فلعل من حضروها ينشرونها للذكرى ..

ولماني لأشكر الصديق طاهر ز مخشري الذي كان المشجع على كتابة هذه المذكرات .. وأشكر جريدة البلاد السعودية التي أفسحت من صدرها لها .. كما أشكر الأصدقاء الذين كانوا يتبعونها ويروون تفاصيلها في مجالسهم ويبدون من الاهتمام بها ما جعلني أو اصل النشر رغم مشاغلي ..

ولماني الآن أفكر في طبع هذه المذكرات للبيع بل للإهداء للأصدقاء .. وقد وعدني صديق كبير لديه إمكانيات الطبع بطبعها وتوزيعها ، ولكنه تملص من الوعد واعتبره مقلباً لي ، وقد وعدته بالمثل في المستقبل إن شاء الله .. فهل أجد من يطبعها وينشرها دون أن يكون لي شيء من إيراداتها سوى عدد من النسخ أهديها للأصدقاء ؟! لعلني واجد ذلك ، فإذا لم أجد طبعت عدداً من النسخ ووزعته هدايا وأمرى الله .

المحتوى

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢	كلمتى الأستاذ محمد سعيد باعشن	٤٤	نزهة فحاحة فتوبة
٦	مقدمة إيحائية	٤٦	المدير العصرى المحافظ
١٥	للأستاذ الكبير أحمد قنديل	٤٨	صلاة الميت الغائب
١٧	تقديم للدكتور حسن نصيف	٥١	المدير الذى غضبنا من أجله
١٩	مقلب	٥٣	أمير للقهوجيه ..
٢١	أول إتصالى بالصحافة	٥٥	والبريد المكبوس
٢٣	أول درس لإنجليزى	٥٧	الشباب الناهض
٢٥	سرقى قلباً	٥٩	أحببت التدريس ..
٢٧	حبلى من الله وحبل من الناس	٦٢	ولكن الله سلم
٢٩	علمنى أبى	٦٤	٥٩ قد يكون .. وقد لا يكون
٣١	بركا على الركب	٦٦	٦٢ بسم الله مجريها ومرساها
٣٣	العصا فى ذمة التاريخ	٦٨	٦٤ رحلة فى الظلام
٣٤	أضعت البرنجية	٧٠	٦٦ الليلة الأولى فى مصر
٣٦	ليلة فى الدهليز	٧٢	٦٨ مثلت دور العبيط
٣٨	آخر علقه	٧٤	٧٠ على أبواب الجامعة
٤٠	الحج على الحير	٧٦	٧٢ ترام رقم ٢٢
٤٢	ليفة بادكوك	٧٦	٧٤ السلف والخلف
٤٢	النجاة .. النجاة	٧٦	٧٦ على عربة كارو

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٧٧	الكسارية اشتكوا	١١٥	توحيد المشارب
٧٩	تشكيل العصاة	١١٨	ظهور الأشباح
٨١	أول إذاعة سعودية	١٢٠	منظر من شكوريل
٨٣	دفتر الضبط	١٢٢	في الأفصر وأسوان
٨٥	من حوادث العصاة	١٢٤	البادكوك يحمل السلاح
٨٧	الأطباق الطائرة	١٢٧	مشروعات زواج
٨٩	فلسفة الملفة	١٢٩	الزيارة المزعومة
٩١	عرق ... ودموع	١٣١	أصول الكشافة
٩٣	أول خبر وفاة	١٣٤	النصائح التناسلية
٩٥	فرق التحريش	١٣٦	مع الطلاب
٩٧	زواج أبو شفوع	١٣٨	مزاد في باخرة
٩٩	بابا شارو	١٤٠	محاكمة أسعد جمجوم
١٠١	مقامات الساسي	١٤٢	قصة زواج
١٠٣	بط الشيخ عمر رفيع	١٤٤	حادث جال
١٠٥	يوم البلاد السعودية	١٤٧	القبض على رئيس العصاة
١٠٧	تجارب المطر الصناعي	١٤٩	مقال خفيفة
١٠٩	قائد الملحق	١٥١	هل تعلم ..؟
١١١	رسائل الأشواق	١٥٣	هل تصدق ..؟!
١١٣	الضبط والربط	١٥٥	ختام

ترقبوا ... الكتاب القادم

هؤلاء ... أوالشياطين

مجموعة مقالات إجتماعية تناقش أهم الموضوعات الحيوية الهامة ... وتصور بأسلوب ساخر لاذع جانبا هاما من حياتنا الفكرية والإنسانية .

محمد سعيد باعشن الكاتب المعروف والصحفي الأول الذي شن أكبر حملة صحفية في جريدة (الأضواء) على أمبراطورية أرامكو وتعسفاتها يصور لك بعض الشخصيات في أسلوب رمزي مغلف .

في الكتاب القادم

هؤلاء ... أوالشياطين

للكاتب المعروف محمد سعيد باعشن

طبعة الدفنى
للمؤسسة السعودية بمصر

ش. حلى الطرزي بالسكاكينات ٤٠٨٥١

سلسلة الثقافة

صدر منها

- ١ - النار والزيتون : ديوان شعر الاستاذ عبد الله عبد الوهاب
(الثمن ٣ ريالات)
- ٢ - محرر الرقيق : دراسة تحليلية لشخصية سليمان بن عبد الملك الأموي
للأستاذ الكبير محمد حسن عواد (الثمن ٣ ريالات)
- ٣ - المزامير : ديوان شعر ، للشاعر الابتداعي الكبير الاستاذ
محمود عارف (الثمن ٢ ريلان)
- ٤ - الأذن تعشق : مجموعة قصص ، للأستاذ القاضي أمين سالم رويحي
(الثمن ثلاثة ريالات)
- ٥ - أحاديث : أبحاث ومفالات في السياسة والعلوم والاجتماع
للدكتور النابتة محمد سعيد العوضى (الثمن ٣ ريالات)
- ٦ - أمواج وأباج : دراسات أدبية . لعبد الفتاح أبي مدين
(الثمن ٣ ريالات)
- ٧ - مذكرات طالب : ذكريات عزيزة يكتبها بأسلوبه الفكاهي الساخر
الدكتور حسن نصيف (الثمن ٣ ريالات)

تحت الطبع

- ٨ - اقتصادنا القومي وكيف ندعمه : لمعالى الاستاذ أحمد صلاح مجموع
- ٩ - ماهي مقومات أدبنا الحديث : للأديب عبد العزيز فرشوطي
- ١٠ - هؤلاء أو الشياطين : للأستاذ محمد سعيد باعشن
- ١١ - امرأة تتأوه : للأستاذ محمد سعيد باعشن
وكتب أخرى سيعلم عنها قريباً . .

مخرجو هذه السلسلة الثقافية والعلمية

عبد الفتاح أبو مدين ، محمد سعيد باعشن